

دلالات "ثم" في القرآن الكريم

د. حسن عبد العاطي محمد عمر

الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية

قسم اللغة العربية وآدابها، بجامعة القصيم

ddhassan666@gmail.com

ملخص البحث. الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله، وبعد ...

فهذا بحث بعنوان (دلالات ثم في القرآن الكريم)، وقد ركز على المعاني التي تؤديها (ثم) في القرآن الكريم، وقد توصل إلى أن (ثم) في القرآن الكريم تؤدي ثمانية معانٍ إضافة إلى معناها الذي قرره لها جمهور النحاة، وهو دلالتها على التشريك مع الترتيب والمهلة، وهذه المعاني الإضافية هي: التراخي في الرتبة، والاستبعاد، والاستمرار، والتقديم، والاستثناء، ومطلق الجمع، أي أنها مثل واو العطف، أو تكون بمعنى (هنالك)، أو زائدة.

وهذه المعاني جميعها فيها خلاف بين المفسرين، وقد حرص البحث على إيراد هذا الخلاف، وختم كل مسألة من مسأله بخاتمة صغيرة رجع فيها ما يخدم المعنى القرآني ولا يتعارض مع اللغة. كما بين البحث التراوح في مقدار المهلة التي تدل عليها عندما تكون على معناها الأصلي.

وقد وقع هذا البحث في ثمانٍ وأربعين صفحة، مشتمل على مقدمة وخاتمة وقائمة بالمراجع التي تناولت هذا الموضوع تناولاً مباشراً، وقد بلغت هذه المراجع ثمانية وثلاثين مرجعاً.

(٣) المرادي، الحسن بن قاسم (المتوفى: ٧٤٩هـ): الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل طبعة المكتبة العربية بحلب، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ، ص ٤٣٢.

وقد تم إيراد أقوال النحاة المختلفة في كل مسألة من هذه المسائل، وفي آخر كل مسألة جاءت خلاصة تشير إلى أرجح الأقوال بناء على ما يحقق المعنى ولا يتعارض مع اللغة، وفي الغالب يتفق الترجيح مع عنوان المسألة، أو لا يأباه، ولم يتخلف ذلك إلا في مسألة زيادة (ثم)؛ وذلك لأن زيادتها لا تدعمها شواهد وأدلة من اللغة العربية.

المسألة الأولى: دلالتها على مدة محددة

جاءت (ثم) على أصلها في الدلالة على التراخي في الزمن في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وجاء هذا التراخي متفاوتاً ما بين الزمن اليسير وآلاف السنين، وجاءت نهايته على نوعين، نوع معلوم ومعروف للناس، وآخر اختصَّ بعلمه الله تعالى، لكنه واقع إما في الدنيا وإما في الآخرة.

وهذه المسألة ستكون في النوع الأول، وهو دلالتها على مدة محددة النهاية، وهذه المدة تراوحت ما بين الجزء من اليوم واللييلة، والأيام دون السنة، والسنوات التي تصل إلى المئات، ويمكن توضيحها على النحو التالي:

أولاً: دلالتها على يوم ولييلة أو جزء من أحدهما

١- دلالتها على يوم ولييلة: دلت (ثم) على التراخي لمدة يوم ولييلة في قوله تعالى: **جَهَنَّمَ هَـهُ عِـ عِـ عِـ لَـ لَـ كَـ كَـ وَوَوُـ وَوَوُـ وَوُـ وَوُـ** [البقرة: ٥٥-٥٦]، حيث أمات الله بني إسرائيل الذين ذهبوا مع نبيه موسى للميقات عندما طلبوا رؤيته جهرة لمدة يوم ولييلة، ثم بعثهم من الموت بعد ذلك، قال الزمخشري: ((وَالصَّاعِقَةُ مَا صَعَقَهُمْ، أَي أَمَاتَهُمْ. قِيلَ: نَارُ وَقَعَتْ مِنَ السَّمَاءِ فَأَحْرَقَتْهُمْ. وَقِيلَ: صِيحَةٌ جَاءَتْ مِنَ السَّمَاءِ. وَقِيلَ:

(٨) الطبري، محمد بن جرير (المتوفى: ٣١٠هـ): جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، طبعة

مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، ١٨٤/٤.

(٩) أبو حيان محمد بن يوسف (المتوفى: ٧٤٥هـ): البحر المحیط في التفسير، تحقيق صدقي محمد جميل، طبعة دار

الفکر بیروت ۱۴۲۰ھ، ۳۰/۱/۲.

الأعلى فدنا من الرسول فيكون إشعاراً بأنه عرج به غير منفصل عن محله تقريباً لشدة قوته^(١٠).

وأحياناً ترد (ثم) لتدل على وقت محدد يجوز أن يكون جزءاً من الليل أو النهار، وذلك في قوله تعالى: **جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن لَّدُنِّي وَأَنَا بَصِيرَةٌ** [البقرة: ٢٣]، أي أن الجلود ترجع إلى حالة اللين بعد القشعريرة، وهذا وما قبله يحدث في جزء يسير من اليوم أو الليلة أو منهما، قال ابن عاشور: ((وأما لين الجلود عقب تلك القشعريرة فهو رجوع الجلود إلى حالتها السابقة قبل اقشعرارها، وذلك قد يحصل عن تناس أو تشاغل بعد تلك الروعة، فعطف عليه لين القلوب ليعلم أنه لين خاص ناشئ عن اطمئنان القلوب بالذكر كما قال تعالى: **وَلَمَّا رَوَّعْتُهُمْ نَسَبُوا لَكَ الْبُيُوتَ كَمَا نَسَبُوا لَكَ الْبُيُوتَ** [الرعد: ٢٨]، وليس مجرد رجوع الجلود إلى حالتها التي كانت قبل القشعريرة. ولم يكتف بذكر لين القلوب عن لين الجلود لأنه قصد أن لين القلوب أفعما حتى ظهر أثره على ظاهر الجلود))^(١١).

ثانياً: دلالتها على أيام أقل من السنة

جاءت (ثم) في القرآن دالة على أيام معدودة معلومة النهاية، بعضها أكثر من شهر وبعضها أقل منه، فأكثر من شهر قوله تعالى: **جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن لَّدُنِّي وَأَنَا بَصِيرَةٌ** [البقرة: ٢٣]، فتراخي العلة عن النطفة أربعين يوماً، وتراخي المضغة عن العلة أربعين يوماً أيضاً، وكذا تراخي التخليق، كما جاء في الحديث، قال القرطبي: ((وفي الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدق: إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك علة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه

(١٠) البيضاوي، عبد الله بن عمر الشيرازي (المتوفى: ٦٨٥هـ): أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق محمد عبد

الرحمن المرعشلي، الناشر دار إحياء التراث العربي ببيروت، ١٥٧/٥.

(١١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٣٩٠/٢٣.

ثالثًا: دلالتها على أكثر من سنة

(١٢) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (المتوفى: ٦٧١هـ): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد

البردوني وإبراهيم أطفش، طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ، ٧/١٢.

(١٣) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٢٠٥/٢٣.

(١٤) الطبري: جامع البيان، ٢/٦٣، ٦٥.

وخلاصة هذه المسألة: أن دلالة (ثم) فيها على التراخي في الزمن ظاهرة، فهي على أصلها؛ فلذا لم يوجد فيها خلاف بين عند النحاة والمفسرين.

وردت (ثم) في مواضع كثيرة في القرآن الكريم لتدل على التراخي في الزمن، وهذا التراخي قد تكون مدته طويلة في الغالب تستغرق سنين كثيرة، لكنها مجهولة النهاية للبشر، ومن ذلك قوله تعالى: **يَوْمَ يُنْفَخُ الْفُجَاءُ** [البقرة: ٢٨]، فهذه الآية تتحدث عن حيتين وميتين كما قال تعالى: **يَوْمَ يُنْفَخُ الْفُجَاءُ** [غافر: ١١]، فالموتة الأولى هي التي تسبق نفخ الروح في الإنسان سواء كان في العدم أم في الرحم، والثانية فهي

٢٤٤/٦، ٢٠٠٢هـ - ٢٠٠٢م

متفاوتة في الطول بين الميت الأول من البشر والأخير ، على أن أقصرها أربعون سنة، وهي الفترة بين النفختين، نفحة الصور الأولى التي يموت بها جميع الأحياء من البشر، ثم الثانية التي يحيون بها، قال

مصطفى البابی الحلبي بمصر، الطبعة الثانية ١٩٧٥م، الحديث رقم ٣٥٥٠، الجزء الخامس ص ٥٥٣.

(ص): ((بين النفختين أربعون))^(١٩)، ذكرها من غير تمييز، بيد أن أصحابه كانوا يرون أنه سنة، قال الطبري: ((قال أصحابه: فما سألناه عن ذلك، ولا زادنا على ذلك، غير أنهم كانوا يرون من رأيهم أنها أربعون سنة))^(٢٠). وأما ورودها الثالث (بسنًا) فالفترة الزمانية فيه تحتاج إلى توضيح؛ لأن الرجوع إلى الله يحصل عقب البعث من دون تراخ، ولذلك خرجت هذه الآية على وجوه:

الأول: أن يكون الإحياء مقصودًا به حياة القبر للسؤال، والرجوع البعث للحساب، وهذان بينهما فاصل زمني طويل أقله أربعون سنة كما تقدم آنفًا، وعلى هذا تكون دلالة (ثم) على التراخي باقية من غير تأويل، قال الزمخشري: ((فإن قلت: ما المراد بالإحياء الثاني؟ قلت: يجوز أن يراد به الإحياء في القبر، وبالرجوع: النشور))^(٢١)، وقال الرازي: ((فلقائل أن يقول: إن الله تعالى ذكر حياة القبر في هذه الآية. لأن قوله في يحييكم ليس هو الحياة الدائمة وإلا لم صح أن يقول: ثم إليه ترجعون لأن كلمة ثم تقتضي التراخي، والرجوع إلى الله تعالى حاصل عقب الحياة الدائمة من غير تراخ))^(٢٢).

الثاني: أن يكون الإحياء مقصودًا به حياة النشور كما تقدم في بداية المسألة، وأن الرجوع إلى الله مبني على حذف مضاف، والضمير في (إليه) راجع إلى الله تبارك وتعالى كالضمائر السابقة له، والتقدير: ترجعون إلى جزاء الله، قال أبو حيان: ((والظاهر في قوله تعالى: ثم إليه ترجعون أن الهاء عائدة على الله سبحانه وتعالى، لأن الضمائر السابقة عائدة عليه تعالى، ويكون ذلك على حذف مضاف، أي إلى جزائه من ثواب أو عقاب))^(٢٣). وعلى هذا تدل (ثم) على التراخي في الزمن لطول

(١٩) البخاري، محمد بن إسماعيل (المتوفى: ٢٥٦هـ): صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير الناصر، طبعة دار طوق

النجاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، الحديث رقم ٤٩٣٥، الجزء السادس ص ١٢٦.

(٢٠) الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٣٤/٢١.

(٢١) الزمخشري: الكشاف، ١/١٢٢.

(٢٢) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٣٧٧/٢.

(٢٣) أبو حيان: البحر المحيط، ٢١٣/١.

يوم الحساب، إذ مقداره خمسون ألف سنة، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُبَدِّلُ نَارًا نَارًا تِلْكَ نَارُ الْوَعْدِ لِلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ فِيهِ سَبِيلًا﴾ [المعارج: ٤]، وقد فسرت الآية على ذلك، قال الطبري: ((عن ابن عباس، في قوله: (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ)، فهذا يوم القيامة، جعله الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة))^(٢٤). وذهب بعض المفسرين إلى أن الضمير في (إليه) عائد إلى الإحياء الأول، والمعنى أحياءكم في الدنيا ابتداء ثم في النهاية ترجعون إليه في الآخرة كما بدأكم، قال أبو حيان: ((وقيل: عائدة على الإحياء المدلول عليه بقوله: فأحياءكم. وشرح هذا أنكم ترجعون بعد الحياة الثانية إلى الحال التي كنتم عليها في ابتداء الحياة الأولى، من كونكم لا تملكون لأنفسكم شيئاً))^(٢٥). ولابن عاشور توجيه قريب من هذا، وهو أن خلقهم ذهاب من عند الله، وحشرهم عودة إلى الله تعالى، قال: ((وقوله: ثم إليه ترجعون، أي يكون رجوعكم إليه، شبه الحضور للحساب برجوع السائر إلى منزله باعتبار أن الله خلق الخلق فكأنهم صدروا من حضرته، فإذا أحياءهم بعد الموت فكأنهم أرجعهم إليه، وهذا إثبات للحشر والجزاء))^(٢٦). وعلى هذين التوجيهين دلالة (ثم) في التراخي لا تحتاج إلى تأويل؛ لأن الفاصل الزمني بين الحياتين طويل جداً أقله أربعون سنة كما تقدم.

الثالث: ذهب إليه المجسمة فجعلوا دلالة (ثم) مكانية، حيث يخرج الأموات من قبورهم في شتى أصقاع الأرض ثم يتجهون إلى المكان الذي يوجد فيه الله تعالى للحساب، قال الماوردي: ((وفي قوله: "ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" تأويلان: أحدهما: إلى الموضع الذي يتولى الله الحكم بينكم. والثاني: إلى المجازاة على الأعمال))^(٢٧)، وكأنهم أيدوا توجيههم هذا

(٢٤) الطبري: جامع البيان ٢٣/٦٠٢.

(٢٥) أبو حيان: البحر المحيط، ١/٢١٣.

(٢٦) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١/٣٧٧.

(٢٧) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد البصري البغدادي (المتوفى: ٤٥٠هـ): النكت والعيون، تحقيق السيد ابن

عبد المقصود بن عبد الرحيم، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، ١/٩٢.

بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْوُحُوشُ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾، وقوله: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْوُحُوشُ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾، وهذا مخالف لمذهب أهل السنة، قال الرازي: ((تمسك المَجَسِّمَة بقوله تعالى: ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ على أنه تعالى في مكان وهذا ضعيف، والمراد أنهم إلى حكمه يرجعون))^(٢٨)، وقال أبو حيان: ((استدلَّت المَجَسِّمَة بِقَوْلِهِ: ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، على أنه تعالى في مكان ولا حِجَّةَ لهم في ذلك))^(٢٩). فعلى توجيههم هذا -بالرغم من ضعفه- تدل (ثم) على التراخي في الأمكنة؛ لأن الأرض متسعة، وفي كل جزء منها أموات، وكل هؤلاء الأموات -مع بعد المسافات بينهم- سيجتمعون في مكان واحد بعد حياتهم الثانية عند الله تبارك وتعالى لأجل الحساب.

وخلاصة هذه المسألة: أن (ثم) دلت فيها على التراخي في الزمن في أرجح الأقوال، بل تراخ طويل في الغالب، ومتفاوت في المدة، وغير معروفة نهايته للبشر، وهي على خلاف الفاء السابقة لها في قوله: (ووو)، فإنها تدل على التعقيب من غير تراخ، قال الزمخشري: ((فإن قلت: لم كان العطف الأوّل بالفاء والإعقاب بثم؟ قلت: لأنّ الإحياء الأوّل قد تعقب الموت بغير تراخ، وأما الموت فقد تراخى عن الإحياء. والإحياء الثاني كذلك متراخ عن الموت- إن أريد به النشور- تراخياً ظاهراً. وإن أريد به إحياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع إلى الجزاء أيضاً متراخٍ عن النشور))^(٣٠).

المسألة الثالثة: دلالتها على التراخي في الرتبة

وذلك في قوله تعالى: **يُنَادِي نُوحٌ نُوحٌ تَوَخَّاهُ لِقَاءَ رَبِّهِ إِنَّهُ سَوِيحٌ مِّنَ الدَّاعِينَ** (البقرة: ٢٩)، وقبل مناقشة دلالة (ثم) في هذه الآية فلا بد من الإجابة عن سؤالين؛ لأن دلالتها مرتبطة بالإجابة عنهما، والسؤالان هما: ما معنى الاستواء؟ وأيهما أسبق في الخلق الأرض أم السماء؟

(٢٨) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٣٧٨/٢.

(٢٩) أبو حيان: البحر المحیط، ٢١٣/١.

(٣٠) الزمخشري: الكشف، ١/١٢٢.

(٣١) أبو حيان: البحر المحیط، ٢١٧/١.

(٣٣) الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري (المتوفى: ٣١١هـ): معاني القرآن وإعراجه، طبعة عالم الكتب ببيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ١/١٠٧.

(٣٤) الزمخشري: الكشف، ١/١٢٣.

[illegible]

فَأَوْرَدْتُهُمْ مَاءً بَٰفِيَاءَ ۖ قَفَرَةً ۖ وَقَدْ خَلَقَ النَّجْمَ الِيمَانِيَّ فَاسْتَوَىٰ

أي ارتفع وعلا، واستوت الشمس على رأسي واستوت الطير على
 قمة رأسي، بمعنى علا)) (٣٦).

وتفسير الاستواء مشكل لأنه يؤدي إلى تجسيد الله وتشبيهه بمخلوقاته - تعالى الله عن ذلك -، والناس فيه على اختلاف، قال القرطبي: ((هذه الآية من المشكلات، والناس فيها وفيما شاكلها على ثلاثة أوجه قال بعضهم: نقرؤها ونؤمن بها ولا نفسرها، وذهب إليه كثير من الأئمة، وهذا كما روي عن مالك رحمه الله أن رجلاً سأل عن قوله تعالى: **يُذَرِّجُ طَهُرًا**، قال مالك: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأراك رجل سوء! أخرجوه. وقال بعضهم: نقرؤها ونفسرها على ما يحتملها ظاهر اللغة. وهذا قول المشبهة. وقال بعضهم: نقرؤها ونتأولها ونحيل حملها على ظاهرها)) (٣٧).

وأما السؤال الثاني ففي إجابته اختلاف على ثلاثة مذاهب:

(٣٥) الطبري: جامع البيان ٤٣٠/١.

(٣٦) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ١/٢٥٤.

(٣٧) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ١/٢٥٤.

الثاني: أن السماء خلقت قبل الأرض، ودليله آيات سورة النازعات:
 چ ژ ژ ژ کک د گگ گ گگ گ گ گ گ گ گ گ گ [النازعات: ٢٧-
 ٣٠]، فأشارت إلى أن خلق الأرض بعد السماء، ففسروا (دحاها) بمعنى
 خلقها، فقد ذهب مقاتل إلى إن الاستواء على العرش كان قبل خلق السماء

(٣٨) الطبري: جامع البيان ١ / ٤٣٥، ٤٣٦.

والأرض، وأن الله خلق السماء أولاً، ثم خلق الأرض ثانيًا، قال: ((أما قوله: أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ إِلَى قَوْلِهِ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ، ففيها تقديم: أي وكان استوى إلى السماء قبل ذلك. والسماء خلقت قبل الأرض، وذلك قوله: أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا، كلاهما كانتا ماء ففتقهما الله، فأبان بعضهما من بعض، وخرج البخار من الماء كشبه الدخان، فخلق سبع سموات منه في يومين قبل خلق الأرض، وكان موضع الكعبة زبدة على ظهر الماء، فخلق الأرض بعد ذلك فبسطها من تحت الكعبة، فذلك قوله: وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا يعني بعد خلق السموات، دحاها يعني بسطها من تحت الكعبة)) (٣٩).

الثالث: أن جرم الأرض خلق قبل السماء، لكن دحوها تم بعد خلق السماء، ودليله مجموع الآيتين: (ثم استوى إلى السماء)، و(بعد ذلك دحاها)، حيث أشارت الأولى إلى خلق السماء بعد الأرض، والثانية إلى دحو الأرض بعد خلق السماء، وفسر الدحو هنا بمعنى البسط، قال الزمخشري: ((جرم الأرض تقدم خلقه خلق السماء، وأما دحوها فمتأخر. وعن الحسن: خلق الله الأرض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر، عليها دخان ملتزق بها، ثم أصدد الدخان وخلق منه السموات، وأمسك الفهر في موضعها وبسط منها الأرض، فذلك قوله: (كَانَتَا رَتْقًا)، وهو الالتزاق)) (٤٠).

وأما دلالة (ثم) في هذه الآية ففيها أقوال وفاقًا للأقوال في تفسير الاستواء وخلق السماء والأرض، فقد خُرِجَتْ على وجوه:

الأول: أنها تدل على المهلة في الرتبة، أي أن ما بعدها أعظم درجة مما قبلها، قال الزمخشري: ((**"ثم"** ههنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السماوات على خلق الأرض، لا للتراخي في الوقت)) (٤١)،

(٣٩) مقاتل بن سليمان الأزدي البلخي (المتوفى: ١٥٠هـ): تفسير مقاتل، تحقيق عبد الله محمود شحاته، طبعة دار

إحياء التراث ببيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، ١٠١/٥.

(٤٠) الزمخشري: الكشف، ١/١٢٤.

(٤١) الزمخشري: الكشف، ١/١٢٣.

وقال السمين الحلبي: ((أصل "ثُمَّ" أن تقتضي تراخياً زمانياً، ولا زمانَ هنا، فقيل: إشارة إلى التراخي بين رتبتي خَلْق الأرض والسماء))^(٤٢).
 الثاني: أنها على أصلها في الدلالة على الترتيب والمهلة في الزمان؛ لأن بين خلق السماء والأرض تم خلق الجبال والأقوات والبركة، قال أبو حيان: ((وقيل لما كان بين خلق الأرض والسماء أعمال من جعل الرواسي والبركة فيها وتقدير الأقوات عطف بـ(ثم)، إذ بين خلق الأرض والاستواء تراخ))^(٤٣). وهذا يوافق قول من جعل خلق الأرض ودحوها قبل خلق السماء.

الثالث: أنها تدل على التقديم، أي أن ما بعدها سابق لما قبلها، قال تاج القراء: ((**"ثم"** يأتي مع الجملة، دالاً على التقديم، نحو قوله: (ثُمَّ اهْتَدَى)، (ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا) ، ويكون (ثم) متعلقاً بالإخبار، أي ثم أخبركم بأنه قبل ذلك استوى إلى السماء))^(٤٤). وهذا يوافق قول من جعل خلق السماء سابقاً لخلق الأرض، لكنه يخالف دلالة (ثم) عند جمهور النحاة.

الرابع: أنها تدل على الترتيب مع التعقيب من غير مهلة مثل الفاء، قال مكي: ((فإنما دخلت "ثُمَّ" في قوله: {ثُمَّ اسْتَوَى} بمعنى القصد لخلق ما أراد أن يخلق على ما تقدم في علمه قبل، بلا أمد))^(٤٥)، وقال الرازي: ((قوله: ثم استوى إلى السماء، أي خلق بعد الأرض السماء، ولم يجعل

(٤٢) السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (المتوفى: ٧٥٦هـ) : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق الدكتور

أحمد محمد الخراط، طبعة دار القلم بدمشق، ١/٢٤٢.

(٤٣) أبو حيان: البحر المحيط، ١/٢١٧، ٢١٦.

(٤٤) تاج القراء، محمود بن حمزة بن نصر، (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ): غرائب التفسير وعجائب التأويل، طبعة دار

القبلة للثقافة الإسلامية بمكة، ومؤسسة علوم القرآن ببيروت، ٢/١٠٤٠.

(٤٥) مكي بن أبي طالب، (المتوفى: ٤٢٧هـ): الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه،

وجمل من فنون علومه، المحقق : مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث =العلمي - جامعة

الشارقة، بإشراف أ.د. : الشاهد البوشيخي، الناشر : جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى ١٤٢٩هـ، ١/٢٠٩.

بينهما زمانا ولم يقصد شيئا آخر بعد خلقه الأرض))^(٤٦). وهذا يوافق قول من فسر الاستواء بالقصد، لكنه أيضا يخالف جمهور النحاة.

الخامس: أنها تدل على تعدد الأشياء، قال النيسابوري: ((يقال (ثم) ليس للترتيب ههنا، وإنما هو على جهة تعدد النعم. مثاله: أن تقول لغيرك: ألسنت قد أعطيتك نعمًا عظيمة، ثم رفعت قدرك، ثم دفعت عنك الخصوم؟ ولعل بعض ما أخرته في الذكر مقدم في الوقوع))^(٤٧). وهذا قريب من الوجه الأول.

السادس: أنها تدل على التراخي في المكان، أي أن ما بعدها متأخر في المكان عما قبلها، وهذا يوافق قول من فسر الاستواء بالعلو الحسي، حيث جعلوه العلو على العرش، وقد ورد في الحديث أن المسافة بين الأرض والسماء مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء مثل ذلك، وبين السماء السابعة والعرش مثل ذلك كله، قال أبو الشيخ الأصبهاني: ((عن عبد الله رضي الله عنه، قال: «إن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام، وما بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام، ونضد كل سماء -يعني غلظه- خمسمائة عام، وما بين السماء السابعة وبين الكرسي مسيرة خمسمائة عام، وما بين الكرسي إلى الماء مسيرة خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله تبارك وتعالى فوق العرش))^(٤٨)، وقال السيوطي: ((عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام، كذلك إلى السماء السابعة، والأرضون مثل ذلك، وما بين السماء السابعة إلى العرش مثل جميع ذلك))^(٤٩).

(٤٦) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٢/٣٨٠.

(٤٧) النيسابوري، الحسن بن محمد القمي (المتوفى: ٨٥٠هـ): غرائب القرآن و رغائب الفرقان، تحقيق الشيخ زكريا عميرات، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، ١/٣١١.

(٤٨) أبو الشيخ الأصبهاني، عبد الله بن محمد (المتوفى: ٣٦٩هـ): العظمة، تحقيق رضاء الله بن محمد إدريس، الناشر دار العاصمة بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، ٢/٥٦٥.

(٤٩) السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر (المتوفى: ٩١١هـ): الدر المنثور في التفسير بالمأثور، طبعة دار الفكر بيروت، ١/١٠٨.

(٥١) الزمخشري: الكشف ٧٥٧/٤.

شيء مغاير للبدن))^(٥٢)، وقال ابن عاشور: ((وللاشارة إلى التفاوت الرتبى بين الخلقين عطف هذا الإنشاء بـ(ثُمَّ) الدالة على أصل الترتيب في عطف الجمل بـ"ثُمَّ")^(٥٣).

ويدخل في الترتيب الرُّتبي الآيات التي وردت مكررة بـ(ثم) مثل قوله تعالى: **كَمْ كَفَّ كَيْدُ [النَّكَار: ٣- ٤]**، قال الزمخشري:

((و(ثُمَّ) دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول وأشد، كما تقول للمنصوح: أقول لك ثم أقول لك: لا تفعل))^(٥٤)، وقال البيضاوي: ((ثُمَّ كَلَامٌ سَوَّفَ تَعْلَمُونَ تَكْرِيرٌ لِلتَّكْيِيدِ، وَفِي (ثُمَّ) دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الثَّانِي أْبْلَغُ مِنَ (الْأَوَّلِ))^(٥٥)، وقال ابن عاشور: ((أكد الزجر والوعيد بقوله: ثم كلا سوف تعلمون، فعطف عطفاً لفظياً بحرف التراخي للإشارة إلى تراخي رتبة هذا الزجر والوعيد عن رتبة الزجر والوعيد الذي قبله، فهذا زجر ووعد مماثل للأول لكن عطفه بحرف (ثم) اقتضى كونه أقوى من الأول لأنه أفاد تحقيق الأول وتهويله))^(٥٦).

وقد أصل ابن عاشور في تفسيره لدلالة (ثم) على الترتيب الرُّتبي، وذكر أنها تدل عليه إن كانت عاطفة لجملة على جملة، وكانت الجملة الثانية مخبرة عما أخبرت عنه الجملة الأولى، قال: ((وعطفت (ثم) جملة (استوى) على جملة خلق لكم. ولدلالة (ثم) على الترتيب والمهلة في عطف المفرد على المفرد كانت في عطف الجملة على الجملة للمهلة في الرتبة، وهي مهلة تخيلية في الأصل تشير إلى أن المعطوف بـ(ثم) أعرق في المعنى الذي تتضمنه الجملة المعطوف عليها حتى كأن العقل يتمهل في الوصول إليه بعد الكلام الأول فينتبه السامع لذلك كي لا يغفل عنه بما سمع من الكلام السابق، وشاع هذا الاستعمال حتى صار كالحقيقة، ويسمى ذلك بالترتيب الرتبي وبترتب الإخبار بكسر

(٥٢) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٢١/٤٠٤، ٤٠٥.

(٥٣) ابن عاشور: التحرير والتنوير ٢٤/١٨.

(٥٤) الزمخشري: الكشاف، ٧٩٢/٤.

(٥٥) البيضاوى: أنوار التنزيل، وأسرار التأويل، ٣٣٤/٥.

(٥٦) ابن عاشور: التحرير والتنوير ٥٢١/٣٠.

المسألة الرابعة: دلالتها على الاستئناف

تأتي (ثم) للاستئناف، فتكون غير عاطفة للكلمة التي بعدها على الكلمة التي قبلها، ويكون ما بعدها كلاماً مستقلاً من الناحية الإعرابية عما قبلها، وهي عندئذ حرف ابتداء، قال المالقي: ((تكون حرف ابتداء على الاصطلاح، أي يكون بعدها المبتدأ والخبر))^(٥٩). ومما جاء على ذلك قوله تعالى: جـ جـ جـ جـ جـ جـ جـ جـ جـ [آل عمران: ١١١]، ف(ثم) ههنا حرف استئناف، ولو كانت عاطفة (لا ينصرون) على (يولوكم) لجاء مجزوماً مثله، أي لسقطت منه نون الرفع وقيل (ثم لا ينصروا)، كما في قوله تعالى: يـ يـ يـ يـ يـ يـ يـ يـ يـ [محمد: ٣٨]، فسقطت النون من (لا ينصرون)؛ لأن (ثم) ههنا حرف عطف وليست حرف استئناف. قال الفراء: ((ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ" مرفوع على الاستئناف، ولأن رءوس الآيات

الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ص ١٧٥.

بالنون))^(٦٠)، وقال الطبري: ((وإنما رفع قوله: (ثم لا ينصرون)، وقد جَزَمَ قوله: (يولوكم الأدبار)، على جواب الجزاء، استثنافاً للكلام، لأن رؤوس الآيات قبلها بالنون))^(٦١)، فعلا الاستئناف بأنه محافظة على سجع الآيات، وهو انتهاؤها بحرف النون، وقد علله الزمخشري بالمعنى، وذكر أن في هذا الاستئناف بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالنصر المطلق على اليهود مع كثرتهم ووفرة عتادهم، قال: ((فإن قلت: هلا جزم المعطوف في قوله: (ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ)؟ قلت: عدل به عن حكم الجزاء إلى حكم الإخبار ابتداءً، كأنه قيل: ثم أخبركم أنهم لا ينصرون. فإن قلت: فأى فرق بين رفعه وجزمه في المعنى؟ قلت: لو جزم لكان نفي النصر مقيداً بمقاتلتهم، كتولية الأدبار، وحين رفع كان نفي النصر وعدا مطلقاً، كأنه قال: ثم شأنهم وقصتهم التي أخبركم عنها وأبشركم بها بعد التولية أنهم مخذولون منتفٍ عنهم النصر والقوة، لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم لهم أمر. وكان كما أخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر))^(٦٢).

و(ثم) وإن كانت حرف استئناف لا تخرج عن معنى العطف، بل تعطف الجملة المستأنفة على ما قبلها من الجمل، قال الزركشي: ((واعلم أنها وإن كانت حرف استئناف ففيها معنى العطف وهو عطف الخبر على جملة الشرط والجزاء كأنه قال أخبركم أنهم يقاتلونكم فيهزمون ثم أخبركم أنهم لا ينصرون))^(٦٣). والمعنى: أخبركم أنهم إن يقاتلوكم ينهزموا، ثم أخبركم أنهم لا ينصرون. وذهب الزمخشري إلى أنها عندئذ تفيد التراخي في الرتبة؛ وذلك لأن عدم نصرهم مطلقاً أعظم من هروبهم في بعض المعارك، قال: ((فإن قلت: فما الذي عطف عليه هذا الخبر؟ قلت: جملة

(٦٠) الفراء: معاني القرآن، ٢٢٩/١.

(٦١) الطبري: جامع البيان، ١١٠/٧.

(٦٢) الزمخشري: الكشاف ٤٠١/١.

(٦٣) الزركشي، محمد بن عبد الله (المتوفى: ٧٩٤هـ): البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،

الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ، ٢٦٩/٤.

الشرط والجزاء كأنه قيل: أخبركم أنهم إن يقاتلوكم ينهزموا، ثم أخبركم أنهم لا ينصرون. فإن قلت: فما معنى التراخي في ثم؟ قلت: التراخي في المرتبة لأن الإخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الإخبار بتولييتهم (الأدبار))^(٦٤)، وذهب أبو حيان إلى أنها تفيد ترتيب الإخبار، قال: ((وتم هنا ليست للمهلة في الزمان، وإنما هي للتراخي في الإخبار. فالإخبار بتولييتهم في القتال وخذلانهم والظفر بهم أبهج وأسر للنفس))^(٦٥). والمعنيان متقاربان، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك في دلالتها على التراخي.

وذكر البيضاوي أن (لا ينصرون) قرئ مجزوماً بالعطف على (يولوكم)، وعندئذ يكون عدم نصر الكافرين مقيداً بقتال المؤمنين، و(ثم) للتراخي الرتبي أيضاً، قال: ((وقرئ «لا ينصروا» عطفاً على يولوا على أن (ثم) للتراخي في الرتبة فيكون عدم النصر مقيداً بقتالهم))^(٦٦)، وذكر الألوسي أن بعضهم جوز أن تكون (ثم) للتراخي في الزمان على القراءتين، قال: ((وجوز بعضهم كونها للتراخي في الزمان على القراءتين بناء على اعتباره بين المعطوف عليه وآخر أجزاء المعطوف، وقراءة الرفع أبلغ لخلوها عن القيد))^(٦٧). والقراءتان توافقان مذهب النحاة؛ لأن المعطوف على جواب الشرط يجوز جزمه على التبعية ورفعها على الاستئناف، قال صاحب اللباب: ((قال ابن الخطيب: وهنا مسألة، وهي أن النُّحَاة قالوا: يجوز في المعطوف على جواب الشرط بالواو والفاء وثُمَّ الجزم والرفع، تقول: إِنْ تَأْتَيْتِ أَتِكَ فَأُخْبِرَكَ بالجزم والرفع جميعاً))^(٦٨).

(٦٤) الزمخشري: الكشف ٤٠١/١.

(٦٥) أبو حيان: البحر المحيط، ٣٠٤/٣.

(٦٦) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ٣٣/٢.

(٦٧) الألوسي: روح المعاني، ٢٤٥/٢.

(٦٨) ابن عادل، سراج الدين، عمر بن علي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ): اللباب في علوم الكتاب،

تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر دار الكتب العلمية ببيروت،

الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ٤٧٣/١٧.

البجاوي، الناشر: عيسى البالي الحلبي وشركاه، ١٢٦٣/٢، ١٢٦٤.

(٧٣) الزمخشري: الكشاف ٥١٥/٣.

واستكباره عن الإيمان بها))^(٧٤)، وفي آيتي الأنعام: ((فإن قلت: فما معنى ثم؟ قلت: استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته، وكذلك (ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ) استبعاد لأن يمتروا فيه بعد ما ثبت أنه محييهم ومميتهم وباعثهم))^(٧٥). وقد تبعه في ذلك جمع من المفسرين اللغويين، قال الرازي: ((فإن قيل: فما معنى (ثم)؟ قلنا: الفائدة فيه استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته والله أعلم))^(٧٦)، وقال أيضاً: ((فإن قالوا: ما معنى ثم في قوله ثم يصبر مستكبراً؟ قلنا نظيره قوله تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ)، إِلَى قَوْلِهِ: (ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ)، ومعناه أنه تعالى لما كان خالقاً للسموات والأرض كان من المستبعد جعل هذه الأصنام مساوية له في العبودية، كذا ههنا سماع آيات الله على قوتها وظهورها من المستبعد أن يقابل بالإنكار والإعراض))^(٧٧)، وقال البيضاوي: ((و(ثُمَّ) لاستبعاد الإعراض عنها مع فرط وضوحها وإرشادها إلى أسباب السعادة بعد التذكير بها عقلاً))^(٧٨)، وقال أيضاً: ((ومعنى ثم: استبعاد عدولهم بعد هذا البيان))^(٧٩)، وقال السمين الحلبي: ((قوله: (ثُمَّ يُصِرُّ) قال الزمخشري: فإن قلت: ما معنى (ثم) في قوله: (ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا)؟ قلت: كمعناه في قول القائل:

يَرَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ثُمَّ يَزُورُهَا

وذلك أن غمرات الموت حقيقة بأن ينجو رائيها بنفسه ويطلب الفرار. فمعنى (ثم) الإيذان بأن فعل المقدم عليها بعدما رآها وعاينها شيء يستبعد في العادات والطباع، وكذلك آيات الله الواضحة الناطقة بالحق. فمن تليت عليه وسمعها كان مستبعداً في القول إصراره على

(٧٤) الزمخشري: الكشف ٢٨٦/٤.

(٧٥) الزمخشري: الكشف ٧٥٧/٤.

(٧٦) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٤٧٩/١٢.

(٧٧) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٦٧٢/٢٧.

(٧٨) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ٢٢٢/٤.

(٧٩) البيضاوي: أنوار التنزيل، ١٥٣/٢.

الضلالة عندها واستكباره عن الإيمان بها^(٨٠). ولم يزد على قول الزمخشري شيئاً.

وذهب الطبري - وهو سابق للزمخشري - إلى أن (ثم) في قوله: (ثم يصير مستكبراً) تدل على الإقامة والمداومة، قال: ((يقول: يسمع آيات كتاب الله تُقرأ عليه (ثُمَّ يُصِرُّ) على كفره وإثمه فيقيم عليه غير نائب منه))^(٨١).

ومن الذين جاءوا بعد الزمخشري ولم يتابعوه نفر منهم: ابن عطية، فقد ذهب إلى أنها تدل على التوبيخ في هذه المواضع وما شابهها، قال: (("ثُمَّ" دالة على قبح فعل الَّذِينَ كَفَرُوا؛ لأن المعنى أن خلقه السموات والأرض وغيرهما قد تقرر، وآياته قد سطعت، وأنعامه بذلك قد تبين ثم بعد هذا كله عدلوا بربهم، فهذا كما تقول: يا فلان أعطيتك وأكرمتك وأحسنيت إليك ثم تشتمني، أي بعد مهلة من وقوع هذا كله، ولو وقع العطف في هذا ونحوه بالواو لم يلزم التوبيخ كلزومه بـ(ثُمَّ)، وقوله: (ثُمَّ أَنْتُمْ) على نحو قوله: (ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) في التوبيخ على سوء الفعل بعد مهلة من وضوح الحجج))^(٨٢). والقرطبي، فقد ذهب إلى أنها تدل على التعجيب، قال: ((و(ثُمَّ) في قوله تعالى: (ثُمَّ يَطْمَعُ) ليست بـ(ثُمَّ) التي للنسق ولكنها تَعْجِيبٌ، وهي كقوله تعالى: (وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ)، وذلك كما تقول: أعطيتك ثُمَّ أَنْتَ تَجْفُونِي، كالمتعجب من ذلك))^(٨٣)، وبعضهم ذكر أنها تدل على بعد ما بين الرتبتين، أي التراخي الرُّتْبِي، قال ابن عادل الدمشقي: ((قوله: (ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا) هذه أبعد ما بين الرُّتْبَتَيْنِ معنًى))^(٨٤)، وقال ابن عاشور: ((عطفت جملة ثم الذين كفروا بربهم يعدلون على جملة: الحمد لله الذي خلق السماوات. فـ(ثُمَّ) لِلتَّرَاخِي الرُّتْبِيِّ الدال على أن ما بعدها يتضمن

(٨٠) السمين الحلبي: الدر المنصون، ٩/٩٦٢، ٩٦٣.

(٨١) الطبري: جامع البيان ٢٢/٦٣.

(٨٢) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٢/٢٦٦، ٢٦٧.

(٨٣) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ١٩/٧٢.

(٨٤) ابن عادل: اللباب في علوم الكتاب، ١٥/٤٨٩.

معنى من نوع ما قبله، وهو أهم في بابهِ. وذلك شأن (ثم) إذا وردت عاطفة جملة على أخرى، فإن عدول المشركين عن عبادة الله مع علمهم بأنه خالق الأشياء أمر غريب فيهم أعجب من علمهم بذلك))^(٨٥)، وقال أيضاً: ((وَقَوْلُهُ: (ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ) عطفت على جملة: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ)، فحرف (ثُمَّ) لِلتَّرَاخِي الرَّتْبِيِّ كغالب وقوعها في عطف الجمل لانتقال من خبر (إلى أعجب منه))^(٨٦)، وقال كذلك: ((و(ثُمَّ) لِلتَّرَاخِي الرَّتْبِيِّ لَأَنَّ ذَلِكَ الْإصرار بعد سماع مثل تلك الآيات أعظم وأعجب، فهو يصر عند سماع آيات الله وليس إصراره متأخراً عن سماع الآيات))^(٨٧). ولعل هذا لا يتوافق مع التراخي الرتبي الذي تقدم في المسألة السابقة، إذ في التراخي الرتبي يكون الذي بعد (ثم) أعظم درجة من الذي قبلها.

وأما أبو حيان الأندلسي فمذهبه غير واضح في هذه المسألة، ففي بداية تفسيره عارض الزمخشري وابن عطية فيما ذهبوا إليه من دلالة (ثم) على الاستبعاد أو التوبيخ، وذكر أنها دالة على التراخي في الزمن من دون أن يحدد بداية الزمن الذي تدل عليه أو نهايته، فقال في الجزء الأول من تفسيره عند قوله تعالى: **چژ ژژ ک ک کک گ گ گگ گ گ گگ** **گ گ** [البقرة: ٧٣-٧٤]، ((قال الزمخشري، معنى ثم قست: استبعاد القسوة بعد ما ذكر ما يوجب لين القلوب ورفقتها، ونحوه (ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ) انتهى. وهو يذكر عنه أن العطف بثم يقتضي الاستبعاد، ولذلك قيل عنه في قوله: (ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ). وهذا الاستبعاد لا يستفاد من العطف بثم، وإنما يستفاد من مجيء هذه الجمل ووقوعها بعد ما تقدم مما لا يقتضي وقوعها، ولأن صدور هذا الخارق العظيم الخارج عن مقدار البشر، فيه من الاعتبار والعظائم ما يقتضي لين القلوب والإنابة إلى الله))^(٨٨)، وقال في الجزء الرابع عند تفسير قوله: **چپ پپ ن نچ** في سورة الأنعام: ((قال الزمخشري: فإن قلت: فما معنى (ثم)؟ قلت: استبعاد أن يعدلوا به

(٨٥) ابن عاشور: التحرير والتنوير ١٢٨/٧.

(٨٦) ابن عاشور: التحرير والتنوير ١٣١/٧.

(٨٧) ابن عاشور: التحرير والتنوير ٣٣٢/٢٥.

(٨٨) أبو حيان: البحر المحیط، ٤٢٢/١.

بعد وضوح آيات قدرته، وكذلك (ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ) استبعاد لأن تمتروا فيه بعد ما ثبت أنه محييهم ومميتهم وباعثهم انتهى. وهذا الذي ذهب إليه ابن عطية مِنْ أَنْ (ثُمَّ) للتوبيخ، والزمخشري مِنْ أَنْ (ثُمَّ) لِلِاسْتِبْعَادِ ليس بصحيح لأنَّ (ثُمَّ) لم توضع لذلك، وإنما التَّوْبِيخُ أو الاستبعاد مفهوم من سياق الكلام لا من مدلول (ثُمَّ) ولا أعلم أحدا من النحويين ذكر ذلك، بل (ثُمَّ) هنا للمهلة في الزمان وهي عاطفة جملة اسمية على جملة اسمية، أخبر تعالى بأن الحمد له ونبه على العلة المقتضية للحمد من جميع الناس وهي خلق السموات والأرض والظلمات والنور ثم أخبر أن الكافرين به يعدلون فلا يحمدونه^(٨٩)، ثم في آخر تفسيره سار على قول الزمخشري وقع الحافر بالحافر دون أن يزيد عليه كلمة واحدة أو أن ينتقصه، فقال في الجزء الثامن عند تفسير قوله: (ذُتْ ثُتْ)، من سورة السجدة: ((قال الزمخشري: (ثُمَّ) للاستبعاد، والمعنى: أن الإعراض عن مثل آيات الله في وضوحها وإنارتها وإرشادها إلى سواء السبيل، والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعادة، كما تقول لصاحبك: وجدت مثل تلك الفرصة، ثم لم تنتهزها استبعادا لتركه الانتهاز، ومنه (ثم) في بيت الشاعر:

وَلَا يَكْشِفُ الْغَمَاءُ إِلَّا ابْنُ حُرَّةٍ يَرَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ثُمَّ يَزُورُهَا

استبعد أن يزور غمرات الموت بعد أن رآها واستيقنها واطلع على شدتها^(٩٠)، وقال في الجزء التاسع عند تفسير قوله: (كَيْفَ كَيْفَ)، من سورة الجاثية: ((قال الزمخشري: فإن قلت: ما معنى (ثم) في قوله: (ثُمَّ) يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا؟ قلت: كمعناه في قول القائل:

يَرَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ثُمَّ يَزُورُهَا

وذلك بأن غمرات الموت حقيقة بأن ينجو رائيها بنفسه ويطلب الفرار منها، وأما زيارتها والإقدام على مزاولتها، فأمر مستبعد. فمعنى (ثم) الإيذان بأن فعل المقدم عليها، بعد ما رآها وعاينها، شيء يستبعد في العادة والطباع، وكذلك آيات الله الواضحة القاطعة بالحق، من تليت عليه

(٨٩) أبو حيان: البحر المحيط، ٤/٤٣٠.

(٩٠) أبو حيان: البحر المحيط، ٨/٤٣٩، ٤٤٠.

وخلاصة هذه المسألة: لعل مذهب الزمخشري فيها هو الأرجح؛ لأنه متوافق مع جميع الآيات التي جاءت على هذا النمط، ولارتضائه من كثير من المفسرين اللغويين الذين اتبعوه، ولخلو هذه الآيات من الدلالة الزمانية، كما أن من عارضه رجع في آخر أمره إلى ما ذهب إليه الزمخشري، كما تقدم عند أبي حيان وابن عاشور، وما قال به ابن عطية والقرطبي قريب من مذهبه؛ لأن التوبيخ يكون على مخالفة شيء تستبعد مخالفته، وكذا التعجب يكون في شيء يستبعد حدوثه في العادة.

(٩٣) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢١/٢٣٣، ٢٣٤.

ونحوها: وهو الدلالة على دوام الفعل المعطوف بها وإرخاء الطول في استصحابه، فهي على هذا لم تخرج عن الإشعار ببعد الزمن. ولكن معناها الأصلي تراخي زمن وقوع الفعل وحدوثه، ومعناها المستعارة إليه دوام وجود الفعل وتراخي زمن بقاءه وعليه حمل قوله تعالى (ثُمَّ اسْتَقَامُوا)، أي داموا على الاستقامة دوامًا متراخيا ممتد الأمد، وتلك الاستقامة هي المعتبرة، لا ما هو منقطع إلى ضده من الحيد إلى الهوى والشهوات))^(٩٧).

وذهب الزمخشري إلى أن (ثم) في هذه الآية تدل على التراخي في الرتبة؛ لأن الاستقامة أشق من حصول الإيمان، فهي أعلى منه مرتبة لأنها تحتاج إلى تكرار ومراقبة، قال: (("ثُمَّ" لتراخي الاستقامة عن الإقرار في المرتبة، وفضلها عليه؛ لأنَّ الاستقامة لها الشأن كله. ونحوه قوله تعالى: ﴿هَـؤُلَاءِ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَافِرُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]، والمعنى: ثم ثبتوا على الإقرار ومقتضياته))^(٩٨). وتبعه في ذلك ابن عاشور، قال: ((و(ثُمَّ) للتراخي الرُّتْبِي لأن الاستقامة زائدة في المرتبة على الإقرار بالتوحيد لأنها تشملها وتشمل الثبات عليه والعمل بما يستدعيه، ولأن الاستقامة دليل على أن قولهم: ربنا الله كان قولاً منبعثاً عن اعتقاد الضمير والمعرفة الحقيقية))^(٩٩)، وقال أيضاً: (("ثم" للتراخي الرتبي: وهو الارتقاء والتدرج، فإن مراعاة الاستقامة أشق من حصول الإيمان لاحتياجها إلى تكرار مراقبة النفس، فأما الإيمان فالنظر يقتضيه واعتقاده يحصل دفعة لا يحتاج إلى تجديد ملاحظة. فهذا وجه التراخي الرتبي من جهة، وإن كان الإيمان أرقى درجة من العمل من حيث إنه شرط في الاعتداد بالعمل))^(١٠٠). ويلاحظ أن ابن عاشور ههنا تابع الزمخشري حتى في

(٩٧) ابن المنير، أحمد بن محمد الإسكندري (ت: ٦٨٣هـ): الاتصاف من الكشف، الكتاب مذيّل بحاشية الكشف، ٣١١/١.

(٩٨) الزمخشري: الكشف ١٩٨/٤.

(٩٩) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢٨٣/٢٤.

(١٠٠) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢٧/٢٦.

اشتراطه أن يكون المعطوف أعظم رتبة من المعطوف عليه، وكان من قبل -كما تقدم في دلالة (ثم) على الترتيب في الرتبة- لا يشترط في المعطوف ذلك، بل كان يشترط أن يكون العطف من عطف الجمل، وأن تكون الجملتان مرتبطتين في معنى واحد.

وذهب أبو حيان إلى أن (ثم) على أصلها في الدلالة على الترتيب بمهلة، وذلك عند تفسيره قوله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ الَّتِي اتَّخَذُوا فَتَضِلُّوا إِنَّكُمْ تَعْرِضُونَ لِمُصِيبٍ** (البقرة: ٢٦٢)، قال: ((ف قيل لهم أجرهم عند ربهم، وعطف: بـ(ثم)، التي تقتضي المهلة، لأن من أنفق في سبيل الله ظاهراً لا يحصل منه غالباً المن والأذى، بل إذا كانت بنية غير وجه الله تعالى، لا يمن ولا يؤدي على الفور، فلذلك دخلت: ثم، مراعاة للغالب. وإن حكم المن والأذى المتعقبين للإنفاق، والمقارنين له حكم المتأخرين))^(١٠١).

و(ثم) في هذه الآية تدل على البقاء والاستمرار؛ لأن الأجر لا يتحقق للمنان، بل يتحقق للمنفق من ساعة إنفاقه إذا لم يتبع إنفاقه مئاً ولا أذى وبقي على ذلك إلى أن يلقى ربه، قال ابن المنير بعد حديثه عن قوله (ثم استقاموا) الذي مرّ قريباً: ((وكذلك قوله: (ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مئاً وَلَا أَذًى)، أي يدومون على تناسي الإحسان وعلى ترك الاعتداد به والامتنان، ليسوا بتاركيه في أزمنة إلى الإذابة وتقليد المنن بسببه، ثم يتوبون))^(١٠٢).

وخلاصة هذه المسألة: لعل دلالتها على دوام المعطوف وبقائه إلى فترة طويلة بعد عقبه للمعطوف عليه من غير فاصل زمني هو الأكثر توافقاً مع معنى هذه الآية وأمثالها، خاصة أن أقوال المفسرين تتجه إلى ذلك، قال الزجاج: ((معنى (ثم استقاموا) أي أقاموا على توحيد الله وشرعية نبيه عليه السلام))^(١٠٣). وقال الزمخشري بعد أن ذكر أنها تفيد

(١٠١) أبو حيان: البحر المحيط، ٢/٦٦٠.

(١٠٢) ابن المنير الإسكندري: الانتصاف من الكشاف، الكتاب مزيل مجاشية الكشاف، ١/٣١١.

(١٠٣) الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، ٤/٤٤٢.

المسألة السابعة: مجيئها بمعنى هنالك

وقد جعل (ثم) بمعنى (هنالك) في قوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَدْعُونَ
ثُمَّ لَا يَأْتِيهِمْ الْغُوثُ﴾ [يونس: ٥٠-٥١]، قال: ((ومعنى قوله:
(أثم)، في هذا الموضع: أهنالك، وليست (ثمّ) هذه ههنا التي تأتي بمعنى
العطف))^(١٠٥)، والمعنى: أهنالك إذا وقع عذاب الله بكم أيها المشركون
آمنتم به؟ وتبعه في ذلك الثعلبي والقرطبي، قال الثعلبي: ((«أثمّ» هنالك وحينئذ، وليس
بحرف عطف))^(١٠٦)، وقال القرطبي: ((وقيل: إنّ (ثمّ) ههنا بمعنى: (ثمّ) بفتح
الثاء، فتكون ظرفاً، والمعنى: أهنالك، وهو مذهب الطبري))^(١٠٧). وعلى
الرغم من أن قراءة طلحة بن مُصَرِّف (أثمّ) بفتح الثاء، ومعناها: أهنالك، تؤيد مذهبه هذا
لم يسلم من نقد كثير من المفسرين، قال ابن عطية: ((وقرأ طلحة بن مصرف (أثم)
بفتح الثاء، وقال الطبري في قوله (ثم) بضم الثاء، معناه هنالك، وقال:
ليست «ثم» هذه التي تأتي بمعنى العطف. قال القاضي أبو محمد:
والمعنى صحيح على أنها (ثم) المعروفة ولكن إطباقه على لفظ التنزيل

(١٠٧) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٣٥١/٨.

هو كما قلنا، وما ادعاه الطبري غير معروف))^(١٠٨). وقال أبو حيان: ((وما قاله الطبري من أن (ثم) هنا ليست للعطف دعوى، وأما قوله: إن المعنى أهناك، فالذي ينبغي أن يكون ذلك تفسير معنى، لا أن (ثم) المضمومة الثاء معناها معنى هنالك. وقرأ طلحة بن مصرف: (أثم) بفتح الثاء، وهذا يناسبه تفسير الطبري أهناك))^(١٠٩). وقال الزركشي: ((وقال الطبري في قوله: (أثم إذا ما وقع آمنتم به)، معناه أهناك، وليست (ثم) العاطفة وهذا، وهم اشتبه عليه المضمومة بالمفتوحة))^(١١٠).

وذكر الألوسي أن (ثم) في هذه الآية تدل على الاستبعاد؛ لأنه مستبعد جداً أن يؤمنوا بعد ما يقع العذاب بهم ويتنفعوا بإيمانهم، قال: ((وجيء بـ(ثم) دلالة على زيادة الاستبعاد، وفيه أن هذا الثاني أبعد من الأول وأدخل في الإنكار))^(١١١).

وقد وجّه ابن عاشور (ثم) في هذه الآية على أنها حرف عطف يفيد الترتيب في الرتبة؛ لأنها عطفت جملة على جملة وفق منهجه في عطفها للجمل، حيث عطفت جملة (أثم إذا ما وقع) على جملة (قل أرأيتم)، قال: ((وعطفت جملة: (أثم إذا ما وقع) بحرف المهلة للدلالة على التراخي الرتبي، كما هو شأن (ثم) في عطفها الجمل، لأن إيمانهم بالعذاب الذي كانوا ينكرون وقوعه حين وقوعه بهم أغرب وأهم من استعجالهم به. وهمزة الاستفهام مقدمة من تأخير كما هو استعمالها مع حروف العطف المفيدة للتشريك. والتقدير: ثم إذا ما وقع، وليس المراد الاستفهام عن المهلة))^(١١٢).

(١٠٨) ابن عطية: المحرر الوجيز، ١٢٤/٣.

(١٠٩) أبو حيان: البحر المحيط، ٧٠/٦.

(١١٠) الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ٢٧٠/٤.

(١١١) الألوسي: روح المعاني، ١٢٧/٦.

(١١٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١٩٣/١١.

وقد جَوَزَ الزمخشري أن تكون جملة (أثم إذا ما وقع) جواباً لجملة الشرط (إن أتاكم عذابه)، وأن يكون دخول همزة الاستفهام على (ثم) كدخولها على حرفي العطف الواو والفاء، قال: ((ويجوز أن يكون (أثم) إذا ما وَقَعَ أَمَنْتُمْ بِهِ) جواب الشرط، وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضاً. والمعنى: إن أتاكم عذابه أمنتكم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان، ودخول حرف الاستفهام على (ثم)، كدخوله على الواو والفاء في قوله: جِئْتُكَ [الأعراف: ٩٧]، جِئْتُكَ [الأعراف: ٩٨]، وفي قوله هذا اضطراب؛ لأنه يفهم منه أن (ثم) حرف عطف، والجملة المعطوفة لا تقع جواباً للشرط إلا على تقدير زيادة العاطف (ثم)، وهو لم يصرِّح بزيادتها ههنا، وإن جعلها زائدة، فهذه الجملة أيضاً لا تصلح أن تكون جواباً للشرط؛ لأنها جملة استفهامية، والاستفهامية يشترط فيها عندما تكون جواباً للشرط أن تقتزن بقاء الجواب، ولا يجوز حذف الفاء إلا في ضرورة، والقرآن ليس مكاناً للضرورة، قال الألوسي: ((وهذا الوجه مما جوزه الزمخشري نُعِقِبَ بأنه في غاية البعد لأن (ثم) حرف عطف لم يسمع تصدير الجواب به، والجملة المصدرة بالاستفهام لا تقع جواباً بدون الفاء)). وذكر أبو حيان أن الزمخشري عطف جملة (ثم إذا ما وقع) على جملة محذوفة بعد الهمزة، قال: ((وخلاف الزمخشري للجماعة في دعواه أن بين الهمزة وحرف العطف جملة محذوفة عطفت عليها الجملة التي بعد حرف العطف)) (١١٣)، وعلى قوله يكون المعنى: أكفرتم؟ ثم إذا ما وقع أمنتكم به. وما ذكره أبو حيان هذا غير موجود في كلام الزمخشري في كشفه عند تفسيره لهذه الآية في سورة يونس. وقد صرَّح الألوسي أنه مراد الزمخشري، وأنه أيضاً بعيد وفيه تكلف، قال: ((قيل: مراد الزمخشري أنه يدل على الجواب التقدير إن أتاكم عذابه أمنتكم به بعد وقوعه وما في النظم الكريم معطوف عليه للتأكيد، نحو: جِئْتُكَ جِئْتُكَ جِئْتُكَ

(١١٣) الزمخشري: الكشاف ١٩٨/٤.

(١١٤) أبو حيان: البحر المحیط، ٧٠/٦.

بِـ كَجْجِ [التكاثر: ٣-٤]، وتعقب بأنه لا يخفى تكلفه، فإن عطف التأكيد بـ(ثم) مع حذف المؤكد مما لا ينبغي ارتكابه^(١١٥).

وذهب مجموعة من المفسرين إلى أن (ثم) في هذه الآية حرف عطف، لكنهم لم يذكروا المعنى الذي تدل عليه، قال مكي: ((قال الطبري: (أثم) بمعنى (هنالك) إذا وقع العذاب بكم آمنتم بالله عز وجل. وليست عنده (ثم) التي للعطف وهو غلط منه. وإنما التي تكون بمعنى (هنالك)، هي المفتوحة الثاء بمنزلة قوله: جِي بِـ بِـ دِج [الإنسان: ٢٠].

والتقدير عند غيره أنها (ثم) التي للعطف^(١١٦)، وقال الرازي: ((وأما قوله: أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ فاعلم أن دخول حرف الاستفهام على (ثُمَّ) كدخوله على الواو والفاء في قوله: (أَوْأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى)، (أَقَامَنَ)، وهو يفيد التفریع والتوبيخ، ثم أخبر تعالى أن ذلك الإيمان غير واقع لهم بل يعيرون ويوبخون^(١١٧)، وهذا قريب من قول الزمخشري، وقال أبو حيان: ((و(ثُمَّ) حرف عطف وتقدمت همزة الاستفهام عليها كما تقدمت على الواو والفاء في: جِثْ ثِج [يوسف: ١٠٩]، وفي جِي دِج [الروم: ٩])^(١١٨). وقال دراز: ((وكلمة "ثم" العاطفة دلت على المعطوف عليه المطوي بينها وبين الهمزة^(١١٩))).

وخلاصة هذه المسألة: أن الوجه الذي ذهب إليه الطبري يتسق مع معنى الآية، لكنه ليس على مذهب النحاة في (ثم)، وقد ذكر الطبري في تفسيره أن الكلام ينبغي أن يحمل على معناه من التأويل، ثم يلتمس له

(١١٥) الألوسي: روح المعاني، ١٢٧/٦.

(١١٦) مكي بن أبي طالب: الهداية إلى بلوغ النهاية، ٣٢٧٩/٥.

(١١٧) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ١٧/١٧٠، ٢٦٣.

(١١٨) أبو حيان: البحر المحيط، ٧٠/٦.

(١١٩) دراز، محمد بن عبد الله (المتوفى: ١٣٧٧هـ): النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، اعتنى به أحمد مصطفى فضلية، قدم له أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، الناشر دار القلم للنشر والتوزيع، طبعة

وجه من الإعراب لا العكس، قال: ((وأما الذين ذكرنا قولهم من أهل العربية، فقد قالوا على مذهب العربية، غير أنهم أغفلوا معنى الكلمة وحملوها على غير وجهها من التأويل. وإنما ينبغي أن يحمل الكلام على وجهه من التأويل، ويلتمس له على ذلك الوجه للإعراب في الصحة مخرج، لا على إحالة الكلمة عن معناها ووجهها الصحيح من التأويل))^(١٢٠). خاصة أن دلالة (ثم) على الترتيب والمهلة في هذه الآية غير واضحة بسبب تقدم همزة الاستفهام عليها، والهمزة تؤدي إلى إنكار تسبب ما بعد العاطف. قال ابن عاشور: ((إنكار الترتيب والمهلة في قوله تعالى: (أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ)، وقول النابغة: أَمُّ تَعْدَرَانِ إِيَّيْ مِنْهَا فَإِنِّي قَدْ سَمِعْتُ وَقَدْ رَأَيْتُ))^(١٢١).

المسألة الثامنة: دلالتها على التقديم

وذلك أن يحدث ما بعدها قبل الذي قبلها بفواصل زمني، وهذا على عكس دلالتها في التراخي، إذ الأصل فيها أن يحدث الذي يليها بعد ما قبلها بفواصل زمني، وعلى هذا وجه قوله تعالى: جَاءَ بَ بَ بَ بَ بَ بَ بَ [الزمر: ٦]؛ وذلك لأن حواء - عليها السلام - سابقة في الخلق لولد آدم - عليه السلام - بفترة زمنية، فخلق الله تعالى آدم أولاً، ثم خلق حواء، وعاشا في الجنة، ثم هبطا إلى الأرض من الجنة، وبدأ خلق ذريتهما في الأرض من تناسلها بعد ذلك، وما زال الخلق مستمراً. ولعل أول من ذهب إلى هذا التوجيه الفراء، قال: ((وربما جعلوا (ثُمَّ) فيما معناه التقديم ويجعلون (ثُمَّ) من خبر المتكلم. من ذَلِكَ أَنْ تَقُولَ: قد بلغني ما صنعت يومك هَذَا، ثُمَّ ما صنعت أمس أعجب))^(١٢٢)، وقال الزجاج: ((والنفس الواحدة يعني بها آدم - صلى الله عليه وسلم - وزوجها حَوَاءً. وَإِنَّمَا قوله (ثُمَّ) لمعنى خلقكم من

(١٢٠) الطبري: جامع البيان، ٤٣٣/١٩، ٤٣٤.

(١٢١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١١٢/٤.

(١٢٢) الفراء: معاني القرآن، ٤١٤/٢.

نَفْسٍ واحدةٍ، أي خلقها وَاحِدَةً ثم جعل منها زوجها، أي خلقها ثم جَعَلَ مِنْهَا رُؤُوسَهَا قَبْلَكُمْ^(١٢٣)، وقال النيسابوري: ((وقيل: (ثم) قد يأتي مع الجملة دالاً على التقدّم))^(١٢٤).

وذهب جمع من المفسرين إلى تأويل هذه الآية، فوجهوا (ثم) على وجوه:

الأول: أنها على أصلها في الدلالة على الترتيب بمهلة، قال ابن عادل الدمشقي في وجوه ذكرها: ((إنها على بابها من الترتيب بمهلة؛ وذلك أنه يروى أنه تعالى أخرجنا من ظهر آدم كالدَّرَّ، ثم خلق حواء بعد ذلك بزمان))^(١٢٥). وهذا قائم على ما جاء في السنة من أن الله تعالى عندما خلق آدم أخرج كل ذريته من ظهره كالذر، فكسبهم العقل وأخذ عليهم الميثاق ثم أماتهم^(١٢٦)، وأسكن آدم الجنة، ثم خلق من ضلعه حواء بعد ذلك، قال الطبري: ((إن الله لما خلق آدم مسح ظهره، فأخرج كل نسمة هي كائنة إلى يوم القيامة، ثم أسكنه بعد ذلك الجنة، وخلق بعد ذلك حواء من ضلع من أضلاعه))^(١٢٧).

الثاني: أنها على بابها أيضاً ولكن أن يعطف بها ما بعدها على المعنى المفهوم من قوله (وَاحِدَةً)، إذ التقدير من نفس وُحِدَتْ، أي انفردت ثم جعل منها زوجها، أو من نفس وحدها، قال السمين الحلبي ((إنها على بابها... وهو أن يعطف بها ما بعدها على ما فهم من الصفة في قوله: (واحدة) إذ التقدير: من نفس وحدت أي انفردت ثم جعل منها زوجها))^(١٢٨)، وقال الطبري: ((أن يكون خلقه الزوج مردوداً على واحد، كأنه قيل: خلقتكم من نفس وحدها ثم جعل منها زوجها، فيكون

(١٢٣) الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، ٤/٣٤٥.

(١٢٤) النيسابوري: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٥/٦١٥.

(١٢٥) ابن عادل الدمشقي: اللباب في علوم الكتاب، ١٦/٤٧٤.

(١٢٦) انظر الطبري: جامع البيان، ١/٤٢٠.

(١٢٧) الطبري: جامع البيان، ٢١/٢٥٥.

(١٢٨) السمين الحلبي: الدر المصون، ٩/٤٠٩.

في واحدة معنى: خلقها وحدها))^(١٢٩). وأيضًا يجوز أن يكون العطف على محذوف صفة لواحدة، التقدير: خلقكم من نفس واحدة خلقها ثم جعل منها زوجها، ذكر ذلك البيضاوي، قال: ((و(ثُمَّ) للعطف على محذوف هو صفة نفسٍ مثل: خلقها))^(١٣٠).

الثالث: أنها تدل على التراخي في الرتبة، كما ذكر الزمخشري وابن عاشور، وعلى قول الزمخشري إن ما بعدها أعظم درجة مما قبلها، أي أن خلق حواء أعظم درجة من خلق ذريتها ؛ لأنه لم تجر عليه العادة ولم يتكرر، قال: ((فإن قلت: ما وجه قوله ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا، وما يعطيه من معنى التراخي؟ قلت: هما آيتان من جملة الآيات التي عدّها دالًّا على وحدانيته وقدرته: تشعيب هذا الخلق الفائت للحرص من نفس آدم، وخلق حواء من قصيره، إلا أن إحداها جعلها الله عادة مستمرة، والأخرى لم تجر بها العادة، ولم تخلق أنثى غير حواء من قصيرى رجل، فكانت أدخل في كونها آية، وأجلب لعجب السامع، فعطفها بـ(ثم) على الآية الأولى، للدلالة على مباينتها لها فضلاً ومزية، وتراخيها عنها فيما يرجع إلى زيادة كونها آية، فهو من التراخي في الحال والمنزلة، لا من التراخي في الوجود))^(١٣١)، وعلى قول ابن عاشور إن (ثم) متى ما عطفت جملة على جملة مرتبطة معها في المعنى فهي للترتيب الرتبي سواء كانت أعظم منها أم لم تكن، قال: ((عطف قوله: جعل منها زوجها بحرف (ثُمَّ) الدال على التراخي الرتبي؛ لأن مساقها الاستدلال على الوحدانية وإبطال الشريك بمراتبه، فكان خلق آدم دليلاً على عظيم قدرته تعالى وخلق زوجه من نفسه دليلاً آخر مستقل الدلالة على عظيم قدرته. فعطف بحرف (ثُمَّ) الدال في عطف الجمل على التراخي الرتبي، إشارة

(١٢٩) الطبري: جامع البيان ٢١/٢٥٥.

(١٣٠) البيضاوي: أنوار التنزيل، ٥/٣٧.

(١٣١) الزمخشري: الكشاف ٤/١١٣، ١١٤.

إلى استقلال الجملة المعطوفة بها بالدلالة مثل الجملة المعطوفة هي عليها))^(١٣٢).

الرابع: أنها تدل على الترتيب في الإخبار، أي أن الخبر الذي يليها متأخر في الذكر عن الخبر الذي قبلها، قال النحاس: (("ثم" ههنا تدل على أن الإخبار الثاني بعد الأول، وقال قتادة: (ثم جعل منها زوجها) حواء، خلقها من ضلع من أضلاعه))^(١٣٣)، وقال ابن عطية: ((إنما هي لترتيب الإخبار لا لترتيب المعاني. كأنه قال: ثم كان من أمره قبل ذلك أن جعل منها زوجها، وفي نحو هذا المعنى ينشد هذا البيت:

*قل لمن ساد ثم ساد أبوه *** ثم قد ساد قبل ذلك جده*)^(١٣٤)، وقال الرازي: ((فإن قيل كيف جاز أن يقول: خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها، والزواج مخلوق قبل خلقهم؟ أجابوا عنه من وجوه الأول: أن كلمة (ثم) كما تجيء لبيان كون إحدى الواقعتين متأخرة عن الثانية، فكذلك تجيء لبيان تأخر أحد الكلامين عن الآخر، كقول القائل بلغني ما صنعت اليوم، ثم ما صنعت أمس كان أعجب، ويقول أيضا قد أعطيتك اليوم شيئاً، ثم الذي أعطيتك أمس أكثر الثاني: أن يكون التقدير خلقكم من نفس خلقت وحدها ثم جعل منها زوجها الثالث: أخرج الله تعالى ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء))^(١٣٥).

الخامس: أنها لمطلق الجمع بين الخبرين من دون ترتيب مثل واو العطف، أي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها، قال المرادي: ((وذهب الفراء، فيما حكاه عنه السيرافي، والأخفش، وقطرب، فيما حكاه أبو محمد عبد المنعم بن الفرس في مسائله (الخلافيات) عنه، إلى أن ثم بمنزلة الواو، لا ترتب. ومنه عندهم "خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها

(١٣٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٣٣١/٢٣.

(١٣٣) النحاس أحمد بن محمد (المتوفى: ٣٣٨هـ): معاني القرآن، تحقيق محمد علي الصابوني، الناشر جامعة أم

القرى بمكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، ١٥٢/٦.

(١٣٤) ابن عطية: المحرر الوجيز، ٥١٩/٤.

(١٣٥) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٤٢٣/٢٦، ٤٢٤.

زوجها"، ومعلوم أن هذا الجعل كان قبل خلقنا))^(١٣٦). ويؤيد توجيههم هذا آية سورة الأعراف حيث جاء العطف فيها بالواو بدلاً من (ثم) وهي: جَـجْ جَـجْ جَـجْ جَـجْ جَـجْ جَـجْ جَـجْ جَـجْ جَـجْ جَـجْ [الأعراف: ١٨٩].

[illegible]

وخلاصة المسألة فإن القول بدلالة (ثم) على التقديم يتوافق مع هذه الآيات من غير أن يحتاج إلى تأويل أو إلى تقدير محذوف، والأقوال الأخرى أقرب منه إلى مذاهب النحاة لكنها تحتاج إلى تأويل أو تقدير كما تقدم.

المسألة التاسعة: دلالتها على معنى الواو

الفرق بين (ثم) و واو العطف في الدلالة أن الأصل في (ثم) أن تدل على الترتيب مع التراخي، فإن قلت: جاء زيد ثم عمرو، فيجب أن يكون مجيء زيد سابقاً لمجيء عمرو، وأما الواو فتدل على مطلق الجمع من غير ترتيب، فإن قلت: جاء زيد وعمرو، فهذا يدل على أن المجيء قد حصل منهما كليهما دون ترتيب، فيجوز أن يكون مجيء عمرو هو الأول أو مجيء زيد. قال الطبري: ((ثم" في كلام العرب لا تأتي إلا بإيذان انقطاع ما بعدها عما قبلها، وذلك كقول القائل: قمت ثم قعدت، لا يكون (القعود) إذ عطف به بـ(ثم) على قوله: (قمت) إلا بعد القيام، وكذلك ذلك في جميع الكلام. ولو كان العطف في ذلك بالواو، جاز أن يكون الذي بعدها قد كان قبل الذي قبلها، وذلك كقول القائل: قمت وقعدت، فجاز أن

(١٤٠) الأخفش: معاني القرآن، ١/٣٢١.

إما أن تكون فيه ثم بمعنى الواو فلم ترتب ويكون الترتيب بين الخلق والتصوير أو تكون ثم في ثم قلنا للترتيب في الأخبار لا في الزمان وهذا أسهل محمل في الآية^(١٤١)، وقال السمين الحلبي: ((قوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا) اختلف الناس في «ثم» في هذين الموضعين: فمنهم من لم يلتزم فيها ترتيباً وجعلها بمنزلة الواو فإن خَلَقْنَا وتصويرنا بعد قوله تعالى للملائكة "اسجدوا")^(١٤٢). وقد خطأه آخرون، قال الزجاج: ((زعم الأخفش أن (ثم) ههنا في معنى الواو، وهذا خطأ لا يجيزه الخليل وسيبويه وجميع من يوثق بعربيته، إنما ثم للشيء الذي يكون بعد المذكور قبله لا غير))^(١٤٣)، وقال النحاس: ((قال الأخفش وهو أحد قول قطرب: (ثم) ههنا بمعنى الواو. وهذا القول خطأ على مذهب أهل النظر من النحويين ولا يجوز أن تكون (ثم) بمعنى الواو لاختلاف معنييهما))^(١٤٤).

وقد وُجّهت (ثم) في هذه الآية على غير الواو على أقوال:
الأول: أنها على أصلها في الدلالة على التراخي في الزمن، وأن المقصود بـ(خلقناكم) و(صورناكم) آدم عليه السلام نفسه، أو أن الله خلقنا ثم صورنا في صلب آدم لأخذ الميثاق كما تقدم في (دلالة ثم على التقديم)، ثم بعد ذلك قال للملائكة اسجدوا لآدم، قال ابن عطية: ((المراد بقوله: ولقد خلقناكم ثم صورناكم آدم بنفسه وإن كان الخطاب لبنيه، وذلك لما كان سبب وجود بنيه بما فعل فيه صح مع تجوز أن يقال إنه فعل في بنيه، وقال: مجاهد: المعنى ولقد خلقناكم ثم صورناكم في صلب آدم وفي وقت استخراج ذرية آدم من ظهره أمثال الذر في صورة البشر. قال

(١٤١) أبو حيان: البحر المحيط، ١٦/٥.

(١٤٢) السمين الحلبي: الدر المنصون، ٢٦٠/٥.

(١٤٣) الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، ٣٢١/٢.

(١٤٤) النحاس: معاني القرآن، ١٢/٣.

القاضي أبو محمد: ويترتب في هذين القولين أن تكون ثمَّ على بابها في الترتيب والمهلة))^(١٤٥).

الثاني: أنها على أصلها أيضاً، وذلك قائم على علم الله بما سيحدث، وإثباته لصورة كل شيء في اللوح المحفوظ قبل حدوثها، ثم بعد ذلك أحدث خلق آدم وأمر الملائكة بالسجود له، وهذا مذهب الرازي، قال: ((قوله: (خلقناكم) إشارة إلى حكم الله وتقديره لإحداث البشر في هذا العالم، وقوله (صورناكم) إشارة إلى أنه تعالى أثبت في اللوح المحفوظ صورة كل شيء كائن محدث إلى قيام الساعة على ما جاء في الخبر أنه تعالى قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، فخلق الله عبارة عن حكمه ومشينته والتصوير عبارة عن إثبات صور الأشياء في اللوح المحفوظ، ثم بعد هذين الأمرين أحدث الله تعالى آدم وأمر الملائكة بالسجود له. وهذا التأويل عندي أقرب من سائر الوجوه))^(١٤٦).

الثالث: أنها تدل على الترتيب في الإخبار أو الرتبة وهما متقاربان، قال الرازي: ((خلقناكم ثم صورناكم ثم إنا نخبركم أنا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم، فهذا العطف يفيد ترتيب خبر على خبر ولا يفيد ترتيب المخبر على المخبر))^(١٤٧)، وقال ابن عاشور: ((وعطفت جملة صورناكم بحرف (ثم) الدالة على تراخي رتبة التصوير عن رتبة الخلق، لأن التصوير حالة كمال في الخلق بأن كان الإنسان على الصورة الإنسانية المتقنة حسناً وشرقاً، بما فيها من مشاعر الإدراك والتدبير، سواء كان التصوير مقارناً للخلق كما في خلق آدم، أم كان بعد الخلق بمدة، كما في تصوير الأجنة من عظام ولحم وعصب وعروق ومشاعر، كقوله تعالى: فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً))^(١٤٨).

(١٤٥) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٣٧٧/٢، ٣٧٨.

(١٤٦) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٢٠٦/١٤.

(١٤٧) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٢٠٦/١٤.

(١٤٨) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٣٦/٨.

الرابع: أنها تدل على التقديم. وقد تقدم ذلك عند قوله تعالى: جَاءَ بِ
بِ بِيْطٍ [الزمر: ٦].

ومثل الآية السابقة قوله تعالى: ﴿يُحْيِي دَتَ ذُنْدُزْ رَزْرُجْ﴾ [يونس: ٤٦]، قال النسفي: ((”ثم“ مع الجملة تأتي بمعنى الواو كقوله: ثم الله شهيد))^(١٤٩). فوجه (ثم) على معنى الواو لأن الله شهيد في الدنيا والآخرة، قال الزمخشري: ((فإن قلت: الله شهيد على ما يفعلون في الدارين، فما معنى ثم؟ قلت: ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب، كأنه قال: ثم الله معاقب على ما يفعلون. وقرأ ابن أبي عتبة: ثم، بالفتح، أي هنالك. ويجوز أن يراد: أنّ الله مؤدّ شهادته على أفعالهم يوم القيامة، حين ينطق جلودهم وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم شاهدة عليهم))^(١٥٠)، فجعلها على أصلها في الدلالة على التراخي في الزمن، ويجوز أيضاً أن توجه بمعنى (هنالك) لقراءتها بالفتح على مذهب الطبري في هذه الحالة، قال السمين الحلبي: ((وقرأ إبراهيم ابن أبي عتبة (ثُمَّ) بفتح الثاء جعله ظرفاً لشهادة الله، فيكون (ثُمَّ) منصوباً بـ(شهيد)، أي: الله شهيدٌ عليهم في ذلك المكان، وهو مكان حشرهم. ويجوز أن يكون ظرفاً لمَرْجعهم أي: فالينا مَرْجعُهم، يعني رجوعهم في ذلك المكان الذي يُثاب فيه المُحسن ويُعاقب فيه المسيء))^(١٥١). وأيضاً مثلها قوله تعالى: ﴿يَدِ □□□□□□□□

□ □ □ □ چ [القيامة: ١٧-١٩]، وذلك لأن بيان معاني القرآن ملازم لورود ألفاظه غير متأخر عنها، لذا وجهها بعضهم على أنها على معنى الواو؛ لأن الواو تفيد مطلق الجمع، قال الزركشي عن (ثم): ((وقيل: بمعنى واو العطف كقوله: (فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد)، أي هو شهيد،

(١٤٩) النسفي، عبد الله بن أحمد (المتوفى: ٧١٠هـ): مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرج أحاديثه:

يوسف علي بدوي، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ، ٥٤٩/١.

(١٥٠) الزمخشري: الكشف، ٣٥٠/٢.

(١٥١) السمين الحلبي: الدر المصون، ٢١٣/٦.

وقوله: "ثم إن علينا بيانه" ^(١٥٢)، وقد وجهها ابن عاشور على أنها تفيد الترتيب في الرتبة، قال: ((وقد احتج بهذه الآية بعض علمائنا الذين يرون جواز تأخير البيان عن المبين متمسكين بأن ثم للتراخي وهو متمسك ضعيف لأن التراخي الذي أفادته ثم إنما هو تراخ في الرتبة لا في الزمن، ولأن ثم قد عطفت مجموع الجملة ولم تعطف لفظ بيانه خاصة، فلو أريد الاحتجاج بالآية للزم أن يكون تأخير البيان حقاً لا يخلو عنه البيان وذلك غير صحيح)) ^(١٥٣).

وخلاصة هذه المسألة: فإن أغلب المفسرين والنحاة قد رفضوا توجيه (ثم) على معنى الواو، بالرغم من ظهور المعنى على معناها دون الحاجة إلى تأويل، بل ذهب بعضهم إلى أن هذا حملاً للقرآن على الشاذ في كلام العرب، قال الطبري: ((فإن ظن ظان أن العرب، إذ كانت ربما نطقت بـ(ثم) في موضع الواو في ضرورة شعره، كما قال بعضهم:

سَأَلْتُ رَبِيعَةَ: مَنْ خَيْرُهَا أَبَا ثُمَّ أُمًّا؟ فَقَالَتْ: لِمَهْ؟

بمعنى: أبا وأماً، فإن ذلك جائز أن يكون نظيره، فإن ذلك بخلاف ما ظن. وذلك أن كتاب الله جل ثناؤه نزل بأفصح لغات العرب، وغير جائز توجيه شيء منه إلى الشاذ من لغاتها، وله في الأفصح الأشهر معنى مفهوم ووجه معروف)) ^(١٥٤). وقبلوا أن تكون على أصلها في الدلالة على التراخي في الزمن، وأولوا خلقنا وتصويرنا بخلق آدم وتصويره على طريقة العرب في خطاب الرجل الموجود بالأفعال والمقصود من ذلك سلفه المعدوم، كما قال تعالى مخاطباً اليهود الذين كانوا بين أظهر المؤمنين: **يٰۤأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا سُلُوكَ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ** [البقرة: ٦٣]، والمراد بذلك سلفهم المعدوم.

(١٥٢) الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ٤/٢٦٨.

(١٥٣) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢٩/٣٥٠، ٣٥١.

(١٥٤) الطبري: جامع البيان، ١٢/٣٢٢.

الطبعة: الرابعة ١٤٢٠هـ، ١٠٣/١.

النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، ويؤيد ذلك قوله: (الذين اتبعوه في ساعة العسرة)، والعسرة هي غزوة تبوك، حيث خالط قلوب بعض مَنْ معه الشك بسبب هذه العسرة والمشقة في السفر إلى تبوك، قال الطبري: ((يقول: من بعد ما كاد يميل قلوب بعضهم عن الحق، ويشك في دينه ويرتاب، بالذي ناله من المشقة والشدة في سفره وغزوه، (ثم تاب عليهم)، يقول: ثم رزقهم جلّ ثناؤه الإنابة والرجوع إلى الثبات على دينه، وإبصار الحق الذي كان قد كاد يلتبس عليهم))^(١٥٦)، وذهب آخرون إلى أنه شامل لجميع المهاجرين والأنصار من شارك في تبوك ومن لم يشارك، قال ابن عاشور: ((وجملة (ثم تاب عليهم) عطف على جملة (لقد تاب الله)، أي تاب على غير هذا الفريق مطلقاً، وتاب على هذا الفريق بعد ما كادت قلوبهم تزيغ،... وجوز كثير من المفسرين أن تكون (ثم) للترتيب في الذكر، والجملة بعدها توكيدا لجملة (تاب الله)، فالضمير للمهاجرين والأنصار كلهم))^(١٥٧). وأما تكرار التوبة ثلاث مرات، فالأولى (لقد تاب الله)، فللنبي والمهاجرين والأنصار الذين شاركوا في غزوة تبوك خاصة، والثانية (ثم تاب عليهم) ففيها خلاف، هل هي لمن شارك في تبوك أو للجميع، فمن جعلها للمشاركين في تبوك جعل (ثم) على أصلها في الدلالة على المهلة، وما بعدها للتوكيد، قال ابن عاشور: ((وتاب على هذا الفريق بعد ما كادت قلوبهم تزيغ، فتكون (ثم) على أصلها من المهلة، المعنى تاب عليهم فأهموا به وخرجوا فلقوا المشقة والعسر، فالضمير في قوله (عليهم) للفريق))^(١٥٨)، أي تاب عليهم عندما همّوا بالخروج إلى تبوك، ثم تاب عليهم مرة أخرى بعدما خرجوا ولقوا العسرة والمشقة في الزاد والظهر والماء وشدة الحر حتى كادت تميل قلوب بعضهم عن الحق وتشك وترتاب في الدين بسبب هذه المشقة، قال النيسابوري: ((التكرير للتوكيد مع رعاية دقيقة هي أن التوبة اكتنفت الذنب من جانبيه، وذلك أنه بدأ بذكر التوبة قبل ذكر الذنب تطبيياً لقلوبهم

(١٥٦) الطبري: جامع البيان ١٤/٥٣٩.

(١٥٧) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١١/٥١.

(١٥٨) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١١/٥١.

ثم ذكر الذنب، ثم أرففه بذكر التوبة ليدل على أن العفو عفو متأكد كما يقول السلطان عند كمال الرضا: عفوت عنك ثم عفوت عنك)) (١٥٩)، ومن جعلها للجميع ف(ثم) عنده للترتيب في الذكر، قال ابن عاشور: ((وجوز كثير من المفسرين أن تكون (ثم) للترتيب في الذكر، والجملة بعدها تأكيداً لجملة (تاب الله)، فالضمير للمهاجرين والأنصار كلهم)) (١٦٠)، والمعنى أنه ذكر لكم أنه تاب على الفريق من المهاجرين والأنصار الذي شارك مع النبي في غزوة تبوك، ثم ذكر لكم أيضاً أنه تاب على جميع المسلمين من المهاجرين والأنصار. وهذا كله يتعلق بـ(ثم) الأولى. وأما (ثم) الثانية في (ثم تاب عليهم ليتوبوا)، فالتوبة فيها موجهة للثلاثة الذين خلفوا وهم كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، وهي المقصودة بالبحث هنا. والمسألة الثالثة: فما المقصود من تخلف الثلاثة؟ هل تخلفهم عن الغزو مع النبي في تبوك، أو تخلفهم عن قبول العذر منهم مع من اعتذر للرسول عند عودته من تبوك وقبوله لأعذارهم؟ في ذلك خلاف، قال الماوردي: ((قوله عز وجل: (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا)، يعني وتاب على الثلاثة الذين خلفوا وفيه وجهان: أحدهما: خلفوا عن التوبة وأخرت عليهم حين تاب عليهم، أي على الثلاثة الذين لم يربطوا أنفسهم مع أبي لبابة، قاله الضحاك وأبو مالك. الثاني: خلفوا عن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، قاله عكرمة)) (١٦١)، والراجح أنهم خُلفوا عن قبول التوبة، بدليل ما ذكره الطبري عن كعب بن مالك، وهو أحد الثلاثة، قال: ((قال كعب: خُلفنا، أيها الثلاثة، عن أمر أولئك الذين قَبِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم توبتهم حين خلفوا له، فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله فيه. فبذلك قال الله: (وعلى الثلاثة الذين خلفوا)، وليس الذي

(١٥٩) النيسابوري: غرائب القرآن و رغائب الفرقان، ٥٤١/٣.

(١٦٠) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٥١/١١.

(١٦١) الماوردي: النكت والعيون، ٤١٣/٢.

ذكر الله مما خُلفنا عن الغزو، إنما هو تخليفه إيانا، وإرجاؤه أمرنا عن حلف له واعتذر إليه فقبل منه))^(١٦٢).
وأما الوجوه الأخرى التي وجهت عليها (ثم) في قوله (ث تَدُف) فهي:

الأول: أنها على أصلها في الدلالة على الترتيب بمهلة، وذلك قائم على ظاهر الآية، ومهمل لجانب الصنعة اللغوية فيها، فظاهر الآية: أن العفو عن هؤلاء الثلاثة قد تم بعد خمسين يومًا^(١٦٣) من عودة النبي صلى الله عليه وسلم من تبوك، بينما نزل قوله تعالى: لقد تاب الله على النبي... الآية، على النبي حين قفل راجعًا من تبوك ولم يجاوزها، قال الطبري: ((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ تَبُوكَ وَلَمْ يَجَاوِزْهَا، وَأَنْزَلَ اللَّهُ: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ) (الْآيَةُ))^(١٦٤)، فإذا الفاصل الزمني بين الآية المعطوف عليها وهذه الآية المعطوفة طويل مدته أكثر من خمسين يومًا، وعليه فإن (ثم) تدل على الترتيب بمهلة، قال الرازي: ((أَنَا مَتَمَسِّكُونَ بِظَاهِرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ، وَكَلِمَةُ (ثُمَّ) لِلتَّرَاخِي، فَمَقْتَضَى هَذَا اللَّفْظُ تَأْخِيرَ قَبُولِ التَّوْبَةِ))^(١٦٥). وأما جانب الصنعة: فقد أهمل هذا التوجيه وجود (إذا) الشرطية في هذه الآية، وسيوضح ذلك في الوجوه التالية.

الثاني: أنها على أصلها أيضًا، وذلك إما على أن تكون (إذا) زائدة، ويكون المعنى: حتى ضاقت عليهم الأرض ثم تاب عليهم، قال محي الدين درويش عن هذه الآية: ((نتحدث عن إشكال ورد فيها، وهو جواب (إذا) وعطف (ثم تاب عليهم)، وقد أجاب العلماء عن ذلك بجوابين أولهما أن تكون (إذا) زائدة، فلا تحتاج إلى جواب ويستقيم المعنى. والثاني أن تكون (ثم) زائدة، فتكون جملة تاب عليهم هي الجواب ولا يمكن حل

(١٦٢) الطبري: جامع البيان ١٤/٥٥٦.

(١٦٣) انظر، النيسابوري: غرائب القرآن و رغائب الفرقان، ٣/٥٤٢.

(١٦٤) الطبري: جامع البيان ١٤/٥٤٧.

(١٦٥) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ١٦/١٦٦.

الإشكال إلا بافتراض زيادة إحداهما)^(١٦٦)، أو تكون (إذا) للزمان فقط دون الشرط، وتكون بمعنى وقت، أي خلفوا إلى وقت ضاقت عليهم الأرض وأنفسهم ثم تاب عليهم، قال أبو حيان: ((ومن زَعَمَ أن (إذا) بعد (حتى) قد تجرد من الشرط وتبقى لمجرد الوقت، فلا تحتاج إلى جواب، بل تكون غاية للفعل الذي قبلها وهو قوله: خلفوا أي: خلفوا إلى هذا الوقت، ثم تاب عليهم ليتوبوا، ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة أخرى ليستقيموا على توبتهم وينيبوا))^(١٦٧)، أي يوجد من زعم هذا.

الثالث: أنها على أصلها كذلك في الدلالة على الترتيب بمهلة، وأن (إذا) غير زائدة، لكن جوابها محذوف والتقدير: حتى إذا ضاقت عليهم الأرض تنصلوا وتندموا ثم تاب الله عليهم، قال الباقولي: ((وقال أبو علي في قوله تعالى (ثم تاب عليهم): (ثم) زائدة، وقد يجوز أن يكون جواب (إذا) محذوفاً، و(ثم تاب عليهم) معطوف على جملة الكلام، أي: حتى إذا ضاقت عليهم الأرض تنصلوا وتندموا، ثم تاب عليهم. و(إذا) بعد (حتى) للجزاء، وهي بمعنى: متى، أي: متى ضاقت عليهم الأرض))^(١٦٨).

الرابع: أنها تدل على الترتيب في الذكر، وهي وما بعدها توكيد لجملة محذوفة واقعة جواباً لـ(إذا) والتقدير: حتى إذا ضاقت عليهم الأرض تاب عليهم ثم تاب عليهم ليتوبوا، ويكون الكلام شبيهاً بسابقه في ذكر التوبة مرتين، قال أبو حيان: ((و(إذا) إن كانت شرطية فجوابها محذوف تقديره: تاب عليهم، ويكون قوله: ثم تاب عليهم، نظير قوله: ثم تاب عليهم، بعد قوله لقد تاب الله على النبي الآية. ودعوى أن (ثم) زائدة وجواب إذا ما بعد (ثم) بعيد جداً، وغير ثابت من لسان العرب زيادة "ثم")^(١٦٩).

(١٦٦) درويش، محيي الدين بن أحمد (المتوفى: ١٤٠٣هـ): إعراب القرآن وبيانه، الناشر دار الإرشاد للشعون

الجامعية، بسورية، الطبعة الرابعة ١٤١٥هـ، ١٨٧/٤.

(١٦٧) أبو حيان: البحر المحيط، ٥/٥٢٠.

(١٦٨) الباقولي: إعراب القرآن المنسوب خطأ للزجاج، ١/١٠٤، ١٠٥.

(١٦٩) أبو حيان: البحر المحيط، ٥/٥٢٠.

أَرَانِي إِذَا مَا بَتُّ بَتُّ عَلَى هَوًى فَثُمَّ إِذَا أَصْبَحْتُ أَصْبَحْتُ غَادِيَا

(١٧٠) ابن عطية: المحرر الوجيز، ١/٥٢٤.

أبو البقاء: (ثم صرفكم) معطوف على الفعل المحذوف، يعني الذي قدره جواباً للشرط)) (١٧٢).

وخلاصة هذه المسألة فإن القول بزيادة (ثم) عزيز، لعدم اطراده في كلام العرب، وكذا القول بزيادة (إذا)، ولعل الراجح ما ذهب إليه أبو علي الفارسي من جعل جواب (إذا) مقدراً، وعليه تكون (ثم) على أصلها في الدلالة على التراخي.

الخاتمة

قد توصل هذا البحث إلى أن (ثم) في القرآن الكريم عندما تكون عاطفة تؤدي المعاني التالية:

- ١- التراخي في الزمان، أي أن ما بعدها يحدث بعد ما قبلها، وهذا معناه المطرد عند جمهور النحاة، لكن هذا التراخي تراوح في القرآن ما بين لحظة يسيرة لا تتعدى الدقيقة وما بين آلاف السنين.
- ٢- التراخي في المكان، أي أن ما بعدها مكانه يبتعد عن مكان ما قبلها من حيث المسافة. وهذا المعنى لم يقع في القرآن إلا في موضع واحد وعلى رأي المجسمة.
- ٣- التراخي في الرتبة، وهو أن ما بعدها أعظم درجة مما قبلها، وفي هذه الحالة الترتيب الزمني غير لازم، فيجوز فيما بعدها أن يقع قبل ما قبلها أو معه أو بعده.
- ٤- الاستبعاد، وهو أن ما بعدها مستبعد حدوثه عقلياً لتوفر المعطيات التي تمنع حدوثه، فحدوثه أمر غريب مستبعد، وأول من قال بهذا المعنى الزمخشري، وقد عبر عنه ابن عطية بالتوبيخ، بينما عبر عنه القرطبي بالتعجب.
- ٥- الاستمرار، وهو أن يحدث ما بعدها مع ما قبلها في زمان واحد، لكن ما بعدها يستمر بعد الحدوث إلى فترة طويلة قد تصل سنين عديدة.

- ٦- التقديم، أي أن ما بعدها يقع قبل ما قبلها.
- ٧- مطلق الجمع، وهو أن ما بعدها يحصل مع ما قبلها في آن واحد من دون أن تكون له ميزة عليه، ومعناها في ذلك مثل معنى واو العطف.
- وكما توصل البحث أيضاً إلى أن (ثم) ترد أحياناً في القرآن غير دالة على العطف، وذلك عندما تدل على الاستئناف، أو تكون بمعنى (هنالك)، أو تكون زائدة.
- وهذه المعاني جميعها فيها خلاف بين المفسرين، وقد حرص البحث على إيراد هذا الخلاف، وختم كل مسألة من مسائله بخاتمة صغيرة رجع فيها ما يخدم المعنى القرآني ولا يتعارض مع اللغة. وقد اكتفى البحث بنتائج هذه الخواتيم في مواضعها ولم يكررها مرة أخرى في هذه الخاتمة النهائية.

المراجع

- [١] ابن المنير الإسكندري (ت: ٦٨٣): الانتصاف من الكشف، الكتاب مذيّل بحاشية الكشف طبعة، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.
- [٢] ابن عادل، سراج الدين عمر بن علي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٥هـ): اللباب في علوم الكتاب، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- [٣] ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ): التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، طبعة الدار التونسية للنشر بتونس ١٩٨٤هـ.
- [٤] ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي (المتوفى: ٥٤٢هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر دار الكتب العلمية ببيروت.

- [٥] ابن هشام، جمال الدين عبد الله بن يوسف الأنصاري (المتوفى: ٧٦١هـ): *مغني اللبيب عن كتب الأعاريب*، تحقيق الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، طبعة دار الفكر بيروت، الطبعة السادسة ١٩٨٥م.
- [٦] أبو الشيخ الأصبهاني، عبد الله بن محمد (المتوفى: ٣٦٩هـ): *العظمة*، تحقيق رضاء الله بن محمد إدريس، الناشر دار العاصمة بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- [٧] أبو حيان محمد بن يوسف (المتوفى: ٧٤٥هـ): *البحر المحيط في التفسير*، تحقيق صدقي محمد جميل، طبعة دار الفكر ببيروت ١٤٢٠هـ.
- [٨] الأخفش، أبو الحسن المجاشعي المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: ٢١٥هـ): *معاني القرآن*، تحقيق الدكتورة هدى محمود قراعة، طبعة مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
- [٩] الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله (المتوفى: ١٢٧٠هـ): *روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني*، تحقيق علي عبد البارئ عطية، طبعة دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى.
- [١٠] الباقر، علي بن الحسين بن علي الأصفهاني (المتوفى: نحو ٥٤٣هـ): *إعراب القرآن المنسوب خطأ للزجاج*، تحقيق ودراسة إبراهيم الإبياري، الناشر: دار الكتاب المصري بالقاهرة ودار الكتب اللبنانية ببيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٢٠هـ.
- [١١] البخاري، محمد بن إسماعيل (المتوفى: ٢٥٦هـ): *البخاري*، تحقيق محمد زهير الناصر، طبعة دار طوق النجاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- [١٢] البيضاوي عبد الله بن عمر الشيرازي (المتوفى: ٦٨٥هـ): *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر دار إحياء التراث العربي ببيروت.
- [١٣] تاج القراء، محمود بن حمزة بن نصر، (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ): *غرائب التفسير وعجائب التأويل*، طبعة دار القبلية للثقافة الإسلامية بجدة، ومؤسسة علوم القرآن ببيروت.

[١٤] الترمذي، محمد بن عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ): سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الثانية ١٩٧٥م.

[١٥] الثعلبي، أحمد بن محمد، (المتوفى: ٤٢٧هـ): الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

[١٦] دراز، محمد بن عبد الله (المتوفى: ١٣٧٧هـ): النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، اعتنى به أحمد مصطفى فضلية، قدم له أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، الناشر دار القلم للنشر والتوزيع، طبعة ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

[١٧] درويش، محيي الدين بن أحمد (المتوفى: ١٤٠٣هـ): إعراب القرآن وبيانه، الناشر دار الإرشاد للشئون الجامعية، بسورية، الطبعة الرابعة ١٤١٥هـ.

[١٨] الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر التميمي المتوفى: (٦٠٦هـ): مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، طبعة دار التراث العربي ببيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

[١٩] الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري (المتوفى: ٣١١هـ): معاني القرآن وإعرابه، طبعة عالم الكتب ببيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

[٢٠] الزركشي، محمد بن عبد الله (المتوفى: ٧٩٤هـ): البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.

[٢١] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو (المتوفى: ٥٣٨هـ): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، طبعة، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.

- [٢٢] السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (المتوفى: ٧٥٦هـ) *إلدر المصون في علوم الكتاب المكنون*، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط، طبعة دار القلم بدمشق.
- [٢٣] سيويه، عمرو بن عثمان بن قنبر (المتوفى: ١٨٠هـ) : *الكتاب*، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- [٢٤] السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر (المتوفى: ٩١١هـ) : *الدر المنثور في التفسير بالمأثور*، طبعة دار الفكر ببيروت.
- [٢٥] الطبري، محمد بن جرير (المتوفى: ٢١٠هـ) : *جامع البيان في تأويل القرآن*، تحقيق أحمد محمد شاكر، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.
- [٢٦] العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين (المتوفى : ٦١٦هـ) : *التبيان في إعراب القرآن*، تحقيق علي محمد البجاوي، الناشر عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.
- [٢٧] الفراء، يحيى بن زياد الديلمي (المتوفى: ٢٠٧هـ) : *معاني القرآن*، تحقق: أحمد يوسف النجاشي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة، الطبعة الأولى.
- [٢٨] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (المتوفى: ٦٧١هـ) : *الجامع لأحكام القرآن*، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفش، طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
- [٢٩] القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (المتوفى: ٤٦٥هـ) : *لطائف الإشارات*، تحقيق إبراهيم البسيوني، الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب بمصر، الطبعة الثالثة.
- [٣٠] المالقي، أحمد بن عبد النور (المتوفى: ٧٠٢هـ) : *رصف المباني في شرح حروف المعاني*، تحقيق أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

- [٣١] الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد البصري البغدادي (المتوفى: ٤٥٠هـ): *النكت والعيون*، تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، طبعة دار الكتب العلمية ببيروت.
- [٣٢] المرادي، الحسن بن قاسم (المتوفى: ٧٤٩هـ): *الجنى الداني في حروف المعاني*، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل طبعة المكتبة العربية بحلب، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- [٣٣] مقاتل بن سليمان الأزدي البلخي (المتوفى: ١٥٠هـ): *تفسير مقاتل*، تحقيق عبد الله محمود شحاته، طبعة دار إحياء التراث ببيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.
- [٣٤] مكي بن أبي طالب، (المتوفى: ٤٢٧هـ): *الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره*، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى ١٤٢٩هـ.
- [٣٥] النحاس أحمد بن محمد (المتوفى: ٣٣٨هـ): *معاني القرآن*، تحقيق محمد علي الصابوني، الناشر جامعة أم القرى بمكة المكرمة، الطبعة الأولى.
- [٣٦] النسفي، عبد الله بن أحمد (المتوفى: ٧١٠هـ): *مدارك التنزيل وحقائق التأويل*، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- [٣٧] النيسابوري، الحسن بن محمد القمي (المتوفى: ٨٥٠هـ): *غرائب القرآن ورغائب الفرقان*، تحقيق الشيخ زكريا عميرات، طبعة دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

"Then Semantics in Holly Quran"

Dr. Hassan Abd Elati Mohamed Omer

*Assistant professor, Arabic Language Department,
College of Arabic Language and Social Studies, Qassim University*

ddhassan666@gmail.com

Abstract. The research is entitle "then semantics in Holly Quran", it concentrated mainly on meanings that "then" performance in Holly Quran, it indicates that "then" usually serves and performs eight different meanings in addition to the essential meaning "participating with arrangement an appointed time" that grammarians had determined.

The eight additional meanings include; slackness in order, exclusion, continuity, resumption, absolute composing, coordinating conjunction, the, and to be additional meaning.

There is a clear difference in all these meanings among the interpreters, which had been shown in the research with a brief summary to the ones that serve Quran meaning and never contract with language.

The research consists of forty-eight pages, and includes introduction, conclusion and relevant references of total thirty-eight references.